# التصرفات العقلائية واللاعقلائية

المرجع الديني الراحل
الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي
قدس سره

## كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الظروف العصيبة التي تمر بالعالم.. والمشكلات الكبيرة التي تعيشها الأمة الإسلامية.. والمعاناة السياسية والاجتماعية التي تقاسيها بمضض.. وفوق ذلك كله، الأزمات الروحية والأخلاقية التي يئنّ من وطأتها العالم أجمع.. والحاجة الماسة إلى نشر وبيان مفاهيم الإسلام ومبادئه الإنسانية العميقة التي تلازم الإنسان في كل شؤونه وجزئيات حياته وتتدخل مباشرةً في حلّ جميع أزماته ومشاكله في الحرية والأمن والسلام وفي كل جوانب الحياة.. والتعطش الشديد إلى إعادة الروح الإسلامية الأصيلة، وبلورة الثقافة الدينية الحيّة، وبثّ الوعي الفكري والسياسي في أبناء الإسلام كي يتمكنوا من رسم خريطة المستقبل المشرق.. كل ذلك دفع المؤسسة لأن تقوم بنشر مجموعة من المحاضرات التوجيهية القيمة التي ألقاها المرجع الديني الإمام الراحل السيد محمد الحسيني الشيرازي (أعلى الله مقامه) في ظروف وأزمنة مختلفة، حول مختلف شؤون الحياة الفردية والاجتماعية، وقد قام سماحته قدس سره

بتهذيبها والإضافة عليها، فقمنا بطباعتها مساهمةً منا في نشر الوعي الإسلامي، وسدّاً لبعض الفراغ العقائدي والأخلاقي لأبناء المسلمين من أجل غدٍ أفضل ومستقبل مجيد.. وذلك انطلاقاً من الوحي الإلهي القائل: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1]. الذي هو أصل عقلائي عام يرشدنا إلى وجوب التفقه في الدين وإنذار الأمة، ووجوب رجوع الجاهل إلى العالم في معرفة أحكامه في مواقفه وشؤونه.. كما هو تطبيق عملي وسلوكي للآية الكريمة:

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[2].

إن مؤلفات الإمام الشيرازي (أعلى الله مقامه) تتسم بـ:

أولاً: التنوّع والشمولية لأهم أبعاد الإنسان والحياة، لكونها انعكاساً لشمولية الإسلام.. فقد أفاض قلمه المبارك الكتب والموسوعات الضخمة في شتى علوم الإسلام المختلفة، بدءً من موسوعة (الفقه) التي بلغت المائة والستين مجلداً، حيث تُعدّ أكبر موسوعة علمية استدلالية فقهية في العالم الإسلامي، مروراً بعلم الحديث والتفسير والكلام والأصول والسياسة والاقتصاد والاجتماع والحقوق وسائر العلوم الحديثة الأخرى.. وانتهاءً بالكتب المتوسطة والصغيرة التي تتناول مختلف المواضيع والتي تتجاوز بمجموعها الـ (١٣٠٠) كتاب وكراس.

ثانياً: الأصالة حيث إنها تتمحور حول القرآن الكريم والسنة المطهرة

---

(١) سورة التوبة: ١٢٢.

(٢) سورة الزمر: ١٧- ١٨.

وتستلهم منهما الرؤى والأفكار.

ثالثاً: المعالجة الجذرية والعملية المستبصرة بمشاكل الأمة الإسلامية ومشاكل العالم المعاصر. رابعاً: التحدث بلغة علمية رصينة في كتاباته لذوي الاختصاص كـ(الأصول) و(البيع) وغيرها، وبلغة واضحة سهلة يفهمها الجميع في كتاباته الجماهيرية، مدعومة بشواهد من واقع الحياة.

نرجو من المولى العلي القدير أن ينفع بذلك، إنه سميع مجيب.

**مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

## وظيفة العقل

قال الله العظيم في كتابه الحكيم: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ۞ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾[1].

لقد اهتم القرآن الكريم بالعقل كثيراً، وورد ذكر العقل والعقلاء في كتاب الله عزوجل والأحاديث الشريفة بشكل ملحوظ.

يقول تعالى في الآيتين الشريفتين ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ أي: هؤلاء الكفار المكذبون بنبوتك يا رسول الله ﴿فِي الأَرْضِ﴾ اليمن والشام، وسائر البلاد التي هلك أهلها لما كذبوا الرسل، حتى يعتبروا ويقلعوا عن غيّهم. ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ ما يرون من العبر، وآثار

---

(١) سورة الحج: ٤٦ ـ ٤٧.

الخرائب التي بقيت بعد إهلاك الأمم السابقة، الذين كذّبوا أنبياءهم ﴿أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أخبار الأمم السابقة، فإن الإنسان إذا سافر، سمع من أهل البلاد أخبار الماضين منهم، وأنهم كيف كانوا، وكيف ماتوا، حتى يحكوا لهم أن أسلافهم هلكوا حيث كذبوا الأنبياء عليهم السلام وعملوا بالكفر والمعاصي ﴿فَإِنَّهَا﴾ الضمير للشأن والقصة، ويأتي هذا الضمير للإلفات والتنبيه إلى أن ما بعده أمر مهم، فإذا كان مذكراً، سمي ضمير الشأن، وإن كان مؤنثاً سمي ضمير القصة، والجملة ما بعد الضمير مفسرة له ﴿لا تَعْمَى الأَبْصَارُ﴾ الناظرة إذ البصر ينظر ويرى ﴿وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ﴾ وتنفلق عن الهدى ﴿الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ والإتيان بهذا الوصف للتعميم، كقوله: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ)[1].

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ يا رسول الله، أي: هؤلاء الكفار، فقد كانوا يطلبون من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتي به ﴿بِالْعَذَابِ﴾ الذي وعدهم، استهزاءً به صلى الله عليه وآله وسلم، لكن الله سبحانه لا يأتي بالعذاب إلاّ في الوقت المحدد له، حسب حكمته ومصلحته ﴿وَلَن يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ﴾ فقد وعد بالعذاب فيأتيه، كما وعد لهم مدة معينة، فلا يأخذهم قبل انقضائها ﴿وَإِنَّ يَوْماً﴾ وهو يوم القيامة ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ أي: في حسابه ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ وهذا تهديد، أي: أن وراءهم يوماً يعادل ألف سنة،

---

(١) سورة الأنعام: ٣٨.

بحساب الإنسان، وإن كان عند الله سبحانه يعد يوماً واحداً، وهذا كما تقول للمجرم: سيأتي وقتك، وفي حساب الحكومة لك يوم هو عشرون سنة في حسابك، تريد أن عليه الحبس تلك المدة. إنهم كيف يستعجلون بالعذاب، ألم يعلموا ماذا صنع بمن كان قبلهم من الأمم المكذبة؟!(١).

ومن الواضح الإرجاع إلى العقل ودوره في حياة الإنسان في الآية الكريمة حيث قال عزوجل: ﴿يَعْقِلُونَ بِهَا﴾.

وفي كتاب «التبيان في تفسير القرآن» للشيخ الطوسي رحمه الله(٢) قال:

---

(١) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج١٧ ص١١٩ تفسير سورة الحج.

(٢) الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي، نسبة إلى طوس من مدن خراسان التي هي من أقدم بلاد فارس وأشهرها، ولد شيخ الطائفة سنة (٣٨٥هـ) بعد أربع سنين من وفاة الشيخ الصدوق رحمه الله، هاجر إلى العراق فهبط بغداد سنة (٤٠٨هـ) وهو ابن ثلاثة وعشرين عاماً، وكانت زعامة المذهب الجعفري فيها لشيخ الأمة وعلم الشيعة محمد بن محمد بن النعمان الشهير بالشيخ المفيد عطر الله مثواه، فلازمه ملازمة الظل وعكف على الاستفادة منه، ولما انتقلت زعامة الدين إلى علامة تلاميذه السيد المرتضى طاب رمسه، انحاز شيخ الطائفة إليه ولازمه، فعني به المرتضى وبالغ في توجيهه وتلقينه حتى وفاته سنة (٤٣٦هـ) وكان السيد يجري عليه في كل شهر اثنا عشر دينارا، كما يجري على سائر تلامذته كابن البراج.

وبعد ذلك استقل شيخ الطائفة رحمه الله بإمامة الناس وظهر على منصة الزعامة وأصبح علما للشيعة ومنارا للشريعة، وكانت داره في الكرخ مأوى الأمة، ومقصد الوفاد، تقاطر اليه العلماء والفضلاء للتملذة عليه والحضور تحت منبره وقصدوه من كل بلد ←

→

ومكان، وبلغت عدة تلاميذه ثلاثمائة من مجتهدي الشيعة، ومن العامة ما لايحصى كثرة. قال العلامة:

محمد بن الحسن بن علي الطوسي أبو جعفر عليه السلام شيخ الإمامية ورئيس الطائفة، جليل القدر عظيم القدر، ثقة عين صدوق، عارف بالأخبار والرجال والفقه والأصول والكلام والأدب. هاجر إلى النجف مشهد أمير المؤمنين عليه السلام خوفا من الفتن التي تجدد ببغداد، بعد ما أحرقت كتبه وكرسيه الذي كان يجلس عليه للدرس. ونقل أن بعض المعاندين من المخالفين عرضوا على الحاكم العباسي أن الشيخ رحمه الله سب الصحابة في كتابه الموسوم بالمصباح في زيارة يوم عاشوراء منه، فأمر الحاكم بإحضاره مع الكتاب المذكور، ولما حضر استفسر منه الأمر. فأنكر الشيخ، ففتح بعض كتاب الحاكم وأراه العبارة: «اللهم خص أنت أول ظالم باللعن مني، وابدأ به أولا، ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع، اللهم اللعن يزيد بن معاوية خامسا»، فقال الشيخ بديهة: يا أمير المؤمنين ليس المراد ما عرض به المعاندون، بل المراد بأول ظالم: قابيل قاتل هابيل، وهو الذي بدأ بالقتل في بني آدم وسنه، والمراد بالثاني: عاقر ناقة صالح النبي واسمه: قيدار بن سالف. وبالثالث: قاتل يحيى بن زكريا. وبالرابع: عبد الرحمن بن ملجم، قاتل علي بن أبي طالب فلما سمع الحاكم العباسي بيانه رفع شأنه وأكرمه. وانتقم ممن سعى به.

للشيخ الطوسي رحمه الله مؤلفات كثيرة، منها: التبيان في تفسير القرآن قال آية الله بحر العلوم في «فوائده الرجالية» في وصفه: إن كتاب التبيان الجامع لعلوم القرآن كتاب جليل كبير عديم النظير في التفاسير، وشيخنا الطبرسي امام التفسير في كتبه إليه يزدلف ومن بحره يغترف. ومن كتبه أيضا: تهذيب الأحكام، والاستبصار فيما اختلف فيه من الأخبار، والنهاية، والمفصح في الإمامة، وله تلخيص كتاب الشافي في الإمامة، وكتاب العدة في أصول الفقه، وله كتاب الرجال في من روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن الإئمة الاثنا عشر عليهم السلام ومن تأخر عنهم. وفهرست كتب الشيعة وأصولهم
←

لما أخبر الله تعالى عن إهلاك الامم الماضية جزاءً على كفرهم ومعاصيهم، نبّه الذين يرتابون بذلك. فقال: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ إذا شاهدوا آثار ما أخبرنا به، وسمعوا صحة ما ذكرناه عمن أخبرهم بصحته من الذين عرفوا أخبار الماضين، وفيها دلالة على أن العقل هو العلم؛ لأن معنى ﴿يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ يعلمون بها، مدلول ما يرون من العبرة.

وفيها دلالة على أن القلب محل العقل والعلوم، لأنه تعالى وصفها بأنها هي التي تذهب عن إدراك الحق، فلولا أن التبيين يصح أن يحصل فيها؛ لما وصفها بأنها تعمى، كما لايصح أن يصف اليد والرجل بذلك.

والهاء في ﴿إِنَّهَا لا تَعْمَى﴾ هاء عماد، وهو الاضمار على شروط التفسير، وانما جاز أن يقول: ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، للتأكيد، لئلا يتوهم بالذهاب إلى غير معنى القلب؛ لأنه قد يذهب إلى أن فيه اشتراكاً كقلب النخلة، فإذا قيل هكذا كان أنفى للبس بتجويز الاشتراك، وأما قوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾[1] فلأن

---

→

وأسماء المصنفين منهم، وكتاب المبسوط في الفقه، والمسائل الرجبية في آي القرآن، والمجالس المشتهر بالأمالي، والغيبة، والمصباح الكبير، المصباح الصغير، الخلاف، والمبسوط، وغيرها. للتفصيل انظر روضات الجنات: ج٦ ص٢١٦ باب ما أوله الميم. والذريعة إلى تصانيف الشيعة: ج٣ ص٣٢٨ بالرقم ١١٩٧.

(١) سورة آل عمران: ١٦٧.

القول قد يكون بغير الفم. والمعنى في الآية: أن الأبصار وإن كانت عميا، فلا تكون في الحقيقة كذلك، إذا كان عارفا بالحق. وإنما يكون العمى عمى القلب الذي يجحد معه معرفة الله ووحدانيته. ثم قال: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿بِالْعَذَابِ﴾ أن ينزل عليهم ويستبطؤنه، وإن الله لا يخلف ما يوعد به. ﴿وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ قيل: يوم من أيام الآخرة يكون كألف سنة من أيام الدنيا. وقيل: إنه أراد يوماً من الايام التي خلق الله فيها السماوات والأرض. والمعنى: ﴿وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ﴾ من أيام العذاب، في الثقل والاستطالة ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ في الدنيا، فكيف يستعجلونك بالعذاب لولا جهلهم؟! وهو كقولهم: أيام الهموم طوال، وأيام السرور قصار.. وقيل: ﴿وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ في طول الامهال للعباد لصلاح من يصلح منهم، أو من نسلهم، فكأنه ألف سنة لطوال الأناة. وقيل: ﴿وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ في مقدار العذاب في ذلك اليوم، أي: إنه لشدته وعظمه كمقدار عذاب ألف سنة من أيام الدنيا على الحقيقة. وكذلك نعيم الجنة، لأنه يكون في مقدار يوم السرور والنعيم، مثل ما يكون في ألف سنة من أيام الدنيا لو بقي ينعم ويلتذ فيها [1].

إذاً، يبين الله تبارك وتعالى في هذه الآيات ـ وكثير غيرها ـ إلى أهمية

---

(١) التبيان في تفسير القرآن: ج٧ ص٣٢٦ في تفسير سورة الحج.

هذه النعمة العظيمة التي تسمى: العقل، أو: اللب، أو: القلب، أو العلم، وضرورة إعمالها فيما يمر على الإنسان في حياته، فعليه أن يتبصر ويدقق في تجارب الآخرين ويعتبر من الأمم السابقة وما مر عليها. وكل ذلك بواسطة نعمة العقل التي وهبها الله تبارك وتعالى للإنسان.

فالعقل والعلم من أهم أسباب التصرفات العقلائية، والجهل وترك العقل من أهم أسباب التصرفات اللاعقلائية والتي توجب خسارة الدارين.

## العقل في القرآن

هذا وهناك آيات آخر كثيرة تذكّر وتنبّه إلى نعمة العقل والعلم وأهميتها عند الإنسان وتركز عليها، كما في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ﴾[1].

وقوله تبارك اسمه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2].

---

(١) سورة العنكبوت: ٤٣.

(٢) سورة البقرة: ١٦٤.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـذَا الأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يَقُولُواْ عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ (١).

وقال عز وجل: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشاً فَنَقَّبُوا فِي الْبِلادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ۞إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۞وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ (٢).

وقال سبحانه: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۞ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۞ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ وَجَاء بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ (٣).

وقال تبارك اسمه: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٤).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ (٥).

---

(١) سورة الأعراف: ١٦٩.

(٢) سورة ق: ٣٦ـ ٣٨.

(٣) سورة ق: ٣١ـ ٣٣.

(٤) سورة البقرة: ١٧٩.

(٥) سورة البقرة: ٢٦٩.

وقال عزوجل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [1].

(١) سورة آل عمران: ١٩٠.

## العقل في الأحاديث الشريفة

أما ما ورد في العقل وأهميته وفضله في الأحاديث الشريفة، فكثير جداً ..

قال رسول الله ﷺ: «ما قسم الله للعباد شيئاً أفضل من العقل؛ فنوم العاقل أفضل من سهر الجاهل، وإقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل، ولا بعث الله نبياً ولا رسولاً حتى يستكمل العقل، ويكون عقله أفضل من جميع عقول أمته، وما يضمر النبي ﷺ في نفسه أفضل من اجتهاد المجتهدين، وما أدى العبد فرائض الله حتى عقل عنه، ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل، والعقلاء هم أولو الألباب الذين قال الله تعالى ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾[1]»[2].

وقال ﷺ أيضاً ـ في حديث ـ : «.. يا علي، العقل ما اكتسبت به الجنة، وطلب به رضا الرحمن. يا علي، إن أول خلق خلقه الله عز وجل العقل، فقال له: أقبل، فأقبل. ثم قال له: أدبر، فأدبر. فقال: وعزتي وجلالي، ما خلقت خلقا هو أحب إليّ منك، بك آخذ وبك

---

(١) سورة البقرة: ٢٦٩.

(٢) الكافي: ج١ ص١٢ كتاب العقل والجهل ح١١.

أعطي، وبك أثيب وبك أعاقب ..»[1].

وقال ﷺ: «إنما يدرك الخير كله بالعقل ولا دين لمن لا عقل له».

وأثنى قوم بحضرته ﷺ على رجل حتى ذكروا جميع خصال الخير، فقال رسول الله ﷺ: «كيف عقل الرجل؟» فقالوا: يارسول الله، نخبرك عنه باجتهاده في العبادة وأصناف الخير، تسألنا عن عقله؟! فقال رسول الله ﷺ: «إن الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر، وإنما يرتفع العباد غدا في الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم»[2].

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إن أغنى الغنى العقل، وأكبر الفقر الحمق..»[3].

وعن أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام قال: «لما خلق الله العقل استنطقه، ثم قال له: أقبل، فأقبل. ثم قال له: أدبر، فأدبر. ثم قال: وعزتي وجلالي، ما خلقت خلقا هو أحب إلي منك، ولا أكملتك إلا فيمن أحب. أما إني إياك آمر، وإياك أنهى، وإياك أعاقب، وإياك أثيب»[4].

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٣٦٩ باب النوادر ضمن ح٥٧٦٢.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٢٠٩ ب٨ ح١٢٧٦٣.

(٣) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٣٨.

(٤) الكافي: ج١ ص١٠ كتاب العقل والجهل ح١.

## بشارة لأهل العقل

قال هشام بن الحكم: قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام:

«يا هشام، إن الله تبارك وتعالى بشر أهل العقل والفهم في كتابه، فقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبادِ ۞ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولئِكَ الَّذِينَ هَداهُمُ اللهُ وَأُولئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبابِ﴾[1]..

يا هشام، إن الله تبارك وتعالى أكمل للناس الحجج بالعقول، ونصر النبيين عليهم السلام بالبيان، ودلهم على ربوبيته بالأدلة، فقال: ﴿وَإِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ ۞ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النَّاسَ وَما أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَبَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّياحِ وَالسَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2]..

يا هشام، قد جعل الله ذلك دليلاً على معرفته بأن لهم مدبراً، فقال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّراتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[3] وقال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ

---

(١) سورة الزمر: ١٧ـ١٨.

(٢) سورة البقرة: ١٦٣ـ ١٦٤.

(٣) سورة النحل: ١٢.

وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمًّى لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1] وقال: ﴿وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2]، وقال: ﴿يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[3]..

وقال: ﴿وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[4] وقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[5] وقال: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْساناً وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[6] وقال: ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ مِنْ شُرَكاءَ فِي ما رَزَقْناكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَواءٌ تَخافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ

---

(١) سورة غافر: ٦٧.

(٢) سورة الجاثية: ٥.

(٣) سورة الحديد: ١٧.

(٤) سورة الرعد: ٤.

(٥) سورة الروم: ٢٤.

(٦) سورة الأنعام: ١٥١.

أَنْفُسَكُمْ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ لِقَوْمٍيَعْقِلُونَ﴾ [1] ..

يا هشام، ثم وعظ أهل العقل ورغبهم في الآخرة، فقال: ﴿وَمَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَيَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُون﴾ [2] ..

يا هشام، ثم خوف الذين لا يعقلون عقابه فقال تعالى: ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ ۞ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ۞ وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[3] وقال: ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلى أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ ۞وَلَقَدْ تَرَكْنا مِنْهآيَةًبَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [4] ..

يا هشام، إن العقل مع العلم فقال: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَمايَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ﴾[5] ..

يا هشام، ثم ذم الذين لا يعقلون فقال: ﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَوَلَوْ كانَ آباؤُهُمْ لايَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ﴾[6] ..

وقال: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِما لا يَسْمَعُ إِلاَّ

---

(١) سورة الروم: ٢٨.

(٢) سورة الأنعام: ٣٢.

(٣) سورة الصافات: ١٣٦ـ ١٣٨.

(٤) سورة العنكبوت: ٣٤ ـ ٣٥.

(٥) سورة العنكبوت: ٤٣.

(٦) سورة البقرة: ١٧٠.

دُعاءً وَنِداءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾[1] وقال: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كانُوا لا يَعْقِلُونَ﴾[2] وقال: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾[3] وقال: ﴿لا يُقاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلاَّ فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَراءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾[4] وقال: ﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[5] ..

يا هشام، ثم ذم الله الكثرة، فقال: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾[6] ..

وقال: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[7] وقال: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَحْيا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾[8] ..

---

(١) سورة البقرة: ١٧١.

(٢) سورة يونس: ٤٢.

(٣) سورة الفرقان: ٤٤.

(٤) سورة الحشر: ١٤.

(٥) سورة البقرة: ٤٤.

(٦) سورة الأنعام: ١١٦.

(٧) سورة لقمان: ٢٥.

(٨) سورة العنكبوت: ٦٣.

يا هشام، ثم مدح القلة فقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ﴾[1] وقال: ﴿وَقَلِيلٌ ما هُمْ﴾[2] وقال: ﴿وَقالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ﴾[3] وقال: ﴿وَمَنْ آمَنَ وَما آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾[4] وقال: ﴿وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[5] وقال: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾[6] وقال: وأكثرهم لا يشعرون[7]..

يا هشام، ثم ذكر أولي الألباب بأحسن الذكر، وحلاهم بأحسن الحلية، فقال: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَما يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبابِ﴾[8]..

وقال: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا

---

(١) سورة سبأ: ١٣.

(٢) سورة ص: ٢٤.

(٣) سورة غافر: ٢٨ .

(٤) سورة هود: ٤٠ .

(٥) سورة الأنعام: ٣٧ .

(٦) سورة المائدة: ١٠٣.

(٧) أي ما معناه ذلك، كقوله تعالى في سورة الأنعام الآية ١١١: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾.

(٨) سورة البقرة: ٢٦٩.

وَما يَذَّكَّرُ إِلاّ أُولُوا الأَلْبابِ﴾ [1] وقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ لآياتٍ لأُولِي الأَلْبابِ﴾[2] ..

وقال: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمى إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبابِ﴾[3] وقال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قانِتٌ آناءَ اللَّيْلِ ساجِداً وَقائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبابِ﴾[4] وقال: ﴿كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبابِ﴾[5] وقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْهُدى وَأَوْرَثْنا بَنِي إِسْرائِيلَ الْكِتابَ ۞ هُدىً وَذِكْرى لأُولِي الأَلْبابِ﴾[6] وقال: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[7] يا هشام، إن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿إِنَّ فِي ذلِكَ لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ﴾[8] يعني: عقل، وقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَةَ﴾[9] قال: الفهم

---

(١) سورة آل عمران: ٧.

(٢) سورة آل عمران: ١٩٠.

(٣) سورة الرعد: ١٩.

(٤) سورة الزمر: ٩.

(٥) سورة ص: ٢٩.

(٦) سورة غافر: ٥٣ ـ ٥٤.

(٧) سورة الذاريات: ٥٥.

(٨) سورة ق: ٣٧.

(٩) سورة لقمان: ١٢.

والعقل..

يا هشام، إن لقمان قال لابنه: تواضع للحق تكن أعقل الناس، وإن الكيس لدى الحق يسير. يا بني، إن الدنيا بحر عميق قد غرق فيها عالم كثير، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله، وحشوها الإيمان، وشراعها التوكل، وقيّمها العقل، ودليلها العلم، وسكانها الصبر..

يا هشام، إن لكل شيء دليلا ودليل العقل التفكر، ودليل التفكر الصمت، ولكل شيء مطية ومطية العقل التواضع، وكفى بك جهلا أن تركب ما نهيت عنه..

يا هشام، ما بعث الله أنبياءه ورسله إلى عباده إلا ليعقلوا عن الله، فأحسنهم استجابة أحسنهم معرفة، وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلا، وأكملهم عقلا أرفعهم درجة في الدنيا والآخرة..

يا هشام، إن لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة، وحجة باطنة، فأما الظاهرة: فالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام، وأما الباطنة: فالعقول..

يا هشام، إن العاقل الذي لا يشغل الحلال شكره، ولا يغلب الحرام صبره..

يا هشام، من سلط ثلاثا على ثلاث فكأنما أعان على هدم عقله: من أظلم نور تفكره بطول أمله، ومحا طرائف حكمته بفضول كلامه، وأطفأ نور عبرته بشهوات نفسه، فكأنما أعان هواه على هدم عقله، ومن هدم عقله أفسد عليه دينه ودنياه..

يا هشام، كيف يزكو عند الله عملك وأنت قد شغلت قلبك عن أمر ربك، وأطعت هواك على غلبة عقلك؟!..

يا هشام، الصبر على الوحدة علامة قوة العقل، فمن عقل عن الله اعتزل أهل الدنيا والراغبين فيها، ورغب فيما عند الله، وكان الله أنسه في الوحشة وصاحبه في الوحدة وغناه في العيلة ومعزه من غير عشيرة..

يا هشام، نصب الحق لطاعة الله، ولا نجاة إلاّ بالطاعة، والطاعة بالعلم، والعلم بالتعلم، والتعلم بالعقل يعتقد، ولا علم إلاّ من عالم رباني، ومعرفة العلم بالعقل..

يا هشام، قليل العمل من العالم مقبول مضاعف، وكثير العمل من أهل الهوى والجهل مردود..

يا هشام، إن العاقل رضي بالدون من الدنيا مع الحكمة، ولم يرض بالدون من الحكمة مع الدنيا؛ فلذلك ربحت تجارتهم..

يا هشام، إن العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب، وترك الدنيا من الفضل وترك الذنوب من الفرض..

يا هشام، إن العاقل نظر إلى الدنيا وإلى أهلها، فعلم أنها لا تنال إلا بالمشقة، ونظر إلى الآخرة، فعلم أنها لا تنال إلا بالمشقة، فطلب بالمشقة أبقاهما..

يا هشام، إن العقلاء زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة؛ لأنهم علموا أن الدنيا طالبة مطلوبة، والآخرة طالبة ومطلوبة، فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه، ومن طلب الدنيا طلبته

الآخرة فيأتيه الموت فيفسد عليه دنياه وآخرته..

يا هشام، من أراد الغنى بلا مال، وراحة القلب من الحسد، والسلامة في الدين، فليتضرع إلى الله عز وجل في مسألته بأن يكمل عقله؛ فمن عقل قنع بما يكفيه، ومن قنع بما يكفيه استغنى، ومن لم يقنع بما يكفيه لم يدرك الغنى أبدا..

يا هشام، إن الله حكى عن قوم صالحين أنهم قالوا:

﴿رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا وَهَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾[1] حين علموا: أن القلوب تزيغ وتعود إلى عماها ورداها، إنه لم يخف الله من لم يعقل عن الله، ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة، يبصرها ويجد حقيقتها في قلبه، ولا يكون أحد كذلك إلا من كان قوله لفعله مصدقا، وسره لعلانيته موافقاً؛ لأن الله تبارك اسمه لم يدل على الباطن الخفي من العقل إلا بظاهر منه وناطق عنه..

يا هشام، كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ما عبد الله بشيء أفضل من العقل، وما تم عقل امرئ حتى يكون فيه خصال شتى: الكفر والشر منه مأمونان، والرشد والخير منه مأمولان، وفضل ماله مبذول، وفضل قوله مكفوف، ونصيبه من الدنيا القوت، لا يشبع من العلم دهره،

---

(١) سورة آل عمران: ٨.

الذل أحب إليه مع الله من العز مع غيره، والتواضع أحب إليه من الشرف، يستكثر قليل المعروف من غيره، ويستقل كثير المعروف من نفسه، ويرى الناس كلهم خيراً منه وأنه شرهم في نفسه، وهو تمام الأمر..

يا هشام، إن العاقل لا يكذب وإن كان فيه هواه..

يا هشام، لا دين لمن لا مروة له، ولا مروة لمن لا عقل له، وإن أعظم الناس قدراً الذي لا يرى الدنيا لنفسه خطراً، أما إن أبدانكم ليس لها ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها بغيرها..

يا هشام، إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: إن من علامة العاقل أن يكون فيه ثلاث خصال: يجيب إذا سُئل، وينطق إذا عجز القوم عن الكلام، ويشير بالرأي الذي يكون فيه صلاح أهله، فمن لم يكن فيه من هذه الخصال الثلاث شيء فهو أحمق. إن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لا يجلس في صدر المجلس إلا رجل فيه هذه الخصال الثلاث، أو واحدة منهن، فمن لم يكن فيه شيء منهن فجلس فهو أحمق. وقال الحسن بن علي عليه السلام: إذا طلبتم الحوائج فاطلبوها من أهلها، قيل: يا ابن رسول الله، ومن أهلها؟ قال: الذين قصّ الله في كتابه وذكرهم، فقال: ﴿إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبابِ﴾[1] قال: هم أولو العقول. وقال علي بن الحسين

---

(١) سورة الرعد: ١٩.

عليه السلام: مجالسة الصالحين داعية إلى الصلاح، وآداب العلماء زيادة في العقل، وطاعة ولاة العدل تمام العز، واستثمار المال تمام المروءة، وإرشاد المستشير قضاء لحق النعمة، وكف الأذى من كمال العقل، وفيه راحة البدن عاجلا وآجلا..

يا هشام، إن العاقل لا يحدث من يخاف تكذيبه، ولا يسأل من يخاف منعه، ولا يعد ما لا يقدر عليه، ولا يرجو ما يعنف برجائه، ولا يقدم على ما يخاف فوته بالعجز عنه»[1]. إلى غيرها من الروايات الكثيرة التي وردت عن أهل البيت عليهم السلام في وصف العقل والعقلاء.

## العقل رأس الفضائل

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «هبط جبرئيل على آدم عليه السلام فقال: يا آدم، إني أُمرت أن أخيرك واحدة من ثلاث، فاخترها ودع اثنتين. فقال له آدم: يا جبرئيل، وما الثلاث؟ فقال: العقل والحياء والدين.

فقال آدم عليه السلام: إني قد اخترت العقل، فقال جبرئيل للحياء والدين: انصرفا ودعاه، فقالا: يا جبرئيل، إنا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان!! قال: فشأنكما، وعرج»[2].

هذه الرواية الشريفة تكشف لنا أهمية العقل، وكذلك تكشف أهمية التصرف العقلائي الذي اتبعه آدم (على نبينا وآله وعليه السلام)، فمن جهة فإن

---

(١) الكافي: ج١ ص١٣ كتاب العقل والجهل ح١٢.

(٢) الكافي: ج١ ص١٠ كتاب العقل والجهل ح٢.

اختيار آدم عليه السلام للعقل يدل دلالة واضحة على كونه أهم من الحياء والدين! لا من حيث إن الدين والحياء لا أهمية لهما؛ وإنما أهميتهما منوطة بالعقل، فإذا جردا من العقل كانا كمثل من يملك مالاً كثيراً ولكنه محجور عليه لسفه أو غير ذلك، فلا تنفعه كثرة ماله..

فالعقل هو رأس الفضائل كلها، فالذي يملك العقل السليم يستطيع أن يختار العقيدة الحقّة ولا تتفرق به السبل ولا يضل عن جادة الحق، وفي ذلك قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «لا دين لمن لا عقل له»[1].

ومن جهة أخرى، فإن هذه الرواية تشير إلى التصرف العقلائي الذي تصرفه أبونا آدم عليه السلام في هذه المسألة، فلو كان تصرفه غير عقلائي لخسر الجميع؛ لأنه لو اختار الدين أو الحياء لخسر العقل، وبخسارة العقل يخسر الجميع، لأن الدين والحياء يدوران مدار العقل، فأين ما ذهب يذهبان معه. فتصرفه هذا كان ناشئاً من حكمته ونضجه وعقله.

وقد شرح المازندراني رحمه الله هذا الحديث بشرح لطيف نذكره لمزيد الفائدة:

قوله عليه السلام: «هبط جبرئيل عليه السلام على آدم عليه السلام» الظاهر أن ذلك كان بعد هبوط آدم عليه السلام من الجنة، وبعد قبول توبته «فقال: يا آدم، إني

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٢٠٨ ب٨ ح١٢٧٥٥. وذلك واضح لأن الدين هو مجموعة من الأوامر والنواهي الإلهية التابعة لمصلحة الإنسان نفسه ومن الواضح أن الداعي نحو الفعل أو الترك ليس إلا العقل فمن لا عقل له لا دين له، أي لا يملك واقع وجوهر الدين.

امرت أن أخيرك واحدة من ثلاث»، أي: خصلة واحدة من ثلاث خصال «فاخترها ودع اثنتين، فقال آدم: يا جبرئيل وما الثلاث؟» الظاهر أن الواو لمجرد حسن الارتباط وزيادة الاتصال لا للعطف «فقال: العقل والحياء والدين». العقل هنا، قوة نفسانية وحالة نورانية، بها يدرك الإنسان حقائق الأشياء، ويميز بين الخير والشر وبين الحق والباطل، ويعرف أحوال المبدء والمعاد. وبالجملة هو نور إذا لمع في آفاق النفوس يكشف عنها غواشي الحجب، فتتجلى فيها صور المعقولات ـ التي يمكن تصورها ـ كما يتجلى في العين صور المحسوسات. والحياء، خلق يمنع من ارتكاب القبيح وتقصير في الحقوق، وقال الزمخشري: هو تغير وانكسار يلحق من فعل ما يمدح به، أو ترك ما يذم به، وهو غريزة، وقد يتخلق به من يجبل عليه، فيلتزم منه ما يوافق الشرع... والدين، هو الصراط المستقيم الذي يكون سالكه قريبا من الخيرات بعيدا عن المنهيات، وهو عبارة عن معرفة مجموع ما يوجب القرب من الرب، والعمل بما يتعلق به الأمر، ومعرفة مجموع ما يوجب البعد عنه، وترك العمل بما يتعلق به النهي.. «فقال آدم: إني اخترت العقل» لا يقال: اختياره للعقل لم يكن إلا لملاحظة أن حسن عواقب أموره في الدارين يتوقف عليه، وإن نظام أحواله في النشأتين لا يتم إلا به، ولا يكون ذلك إلا لكونه عاقلا متفكراً متأملاً فيما ينفعه عاجلا وآجلاً، لأنا نقول: المراد بهذا العقل، العقل الكامل الذي يكون للأنبياء والأوصياء عليهم السلام، واختياره يتوقف على عقل سابق يكون درجته دون هذا، وللعقل درجات ومراتب. وقد يقال

هذه الأمور الثلاثة كانت حاصلة له عليه السلام على وجه الكمال، والتخيير فيها لا ينافي حصولها، والغرض منه إظهار قدر نعمة العقل، والحث على الشكر عليها.. «فقال جبرئيل عليه السلام للحياء والدين: انصرفا ودعاه» أي: انصرفا عن آدم ودعاه مع العقل معه «فقالا: يا جبرئيل» الظاهر أن هذا القول حقيقة بلسان المقال بحياة خلقها الله تعالى فيهما، ولا يبعد ذلك عن القدرة الكاملة، وقد ثبت نطق اليد والرجل على صاحبهما، ونطق الكعبة والحجر، وغيرهما. ويحتمل أن يكون ذلك مجازا بلسان الحال، أو يخلق الله سبحانه فيهما كلاما أسمعه جبرئيل وآدم عليهما السلام كما قد خلق ذلك في بعض الأجسام الجمادية وأسمعه من شاء من خلقه «إنا امرنا أن نكون مع العقل حيث كان» أي: حيث وجد، أو حيث كان موجوداً، يفهم منه أن العقل مستلزم لهما وهما تابعان له، والأمر كذلك؛ لأن بالعقل يعرف الله سبحانه وجلاله وجماله وكماله وتنزهه عن النقايص وإحسانه وإنعامه وقهره وغلبته، بحيث يرى كل جلال وجمال وكمال وإحسان وإنعام وقهر وغلبة مقهوراً تحت قدرته، مغلوبا تحت قهره وغلبته، بل لا يرى في الوجود إلا هو، فيحصل له بذلك خوف وخشية يرتعد به جوانحه كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[1] ويحصل له بذلك قوة وملكة تمنعه عن مخالفته طرفة عين، وهذه القوة هي المسماة بالحياء، ثم بتلك القوة يسلك الصراط

---

(١) سورة فاطر: ٢٨.

المستقيم وهو الدين القويم، ومن ههنا ظهر: أن الحياء مستلزم للدين والدين تابع له، ثم جبرئيل عليه السلام إن كان عالماً بكونهما مأمورين بذلك كان قوله: «انصرفا ودعاه» محمولا على نوع من الامتحان، لإظهار شرف العقل ونباهة قدره، وإن لم يكن عالماً كان ذلك القول محمولا على الطلب «قال: فشأنكما وعرج» الشأن بالهمزة الأمر والحال والقصد، أي: فشأنكما معكما، أو ألزما شأنكما..[1].

(١) شرح أصول الكافي للشيخ محمد صالح المازندراني: ج١ ص٧٢ كتاب العقل والجهل.

## العقل والعقلاء

العقل لغة بمعنى المنع، واشتق منه العقال وغيره، وهو الذي يقيد شهوات الإنسان ويمنعه منها، أما اصطلاحا أي المعنى المتداول في لسان الشرع المقدس، فهو نور إلهي وهبة ربانية، وهبه الله عزوجل إلى الإنسان؛ لكي يعرف خالقه، ويدرك به الأشياء، ويميز به بين الخير والشر والحق والباطل، وهذه الهدية الإلهية هي الفارق الأساسي فيما بين الإنسان وباقي المخلوقات، كالحيوانات والجمادات[1]. وسميت

---

(١) قال صاحب «مجمع البحرين»: «عقل» .. قوله تعالى: ﴿فهم لا يعقلون﴾ سورة البقرة: ١٧١. العاقل هو الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها، ومن هذا قولهم: اعتقل لسان فلان: إذا حبس ومنع من الكلام. ومنه عقلت البعير. وفي الحديث: «إذا تم العقل نقص الكلام» قال بعض الشارحين: وذلك لضبط العقل إياه ووزنه، والموزون أقل من المكيل والجزاف.

وفيه: «نوم العاقل أفضل من سهر الجاهل». ولعل الوجه فيه: أن نوم العاقل يتوصل فيه إلى أبواب كثيرة من أبواب الخير، بخلاف سهر الجاهل فإنه لا فائدة فيه.

وفيه: «ليس بين الإيمان والكفر إلا قلة العقل»، وذلك أن العبد يرفع رغبته إلى مخلوق، فلو أخلص نيته لله لأتاه الذي يريد في أسرع من ذلك..

وفي حديث علي عليه السلام: «العقل شرع من داخل، والشرع عقل من خارج».

والعقل: نور روحاني تدرك النفس به العلوم الضرورية والنظرية. وأول ابتداء وجوده عند اجتنان الولد، ثم لا يزال ينمو إلى أن يكمل عند البلوغ. وقد يطلق العقل على العلم المستفاد من ذلك، فيكون الأول هو العقل المطبوع المراد، بقوله تعالى: «ما ←

بالعقل لأنه يمنع الإنسان من أن يرتكب ما يناسب الجهل والجهالة والجهال. فإن الإنسان والحيوان يشتركان في أمور عدة، منها:

١. الحس: إذ الإنسان حساس، وجميع الحيوانات الباقية تحس أيضاً.

٢. الخيال: فالإنسان له قوة خيال، وبعض الحيوانات لها قوة خيال أيضاً، كما قيل.

٣. الوهم: فالإنسان له وهم، وبعض الحيوانات لها قوة وهم أيضاً، كما قيل.

---

←

خلقت خلقا هو أحب إلي منك» والثاني: العقل المسموع، المراد بحديث: «ما كسب الإنسان شيئا أفضل من عقل يهديه إلى هدى».

وقد يراد بالعقل قوة النفس. وقد يراد به المصدر، وهو فعل تلك القوة. وقد يراد به ما يقابل الجهل، وهو الحالة المقدمة على ارتكاب الخير واجتناب الشر، أي: القوة المدبرة في إعانة الآخرة. وموضعه على ما هو مصرح به في الأحاديث القلب. وفي كلام بعض اللغويين: القلب والدماغ مجمعا العقل..

والعقل: الدية، وأصله أن القاتل كان إذا قتل قتيلا جمع الدية من الإبل فعقلها بفناء أولياء المقتول، أي شدها في عقلها ليسلمها إليهم ويقبضونها منه، فسميت الدية عقلا بالمصدر. يقال: عقل البعير يعقله عقلا والجمع عقول. وكان أصل الدية الإبل، فقومت بعد ذلك بالذهب والفضة والبقر والغنم وغيرها. وقيل: سميت بذلك لأنها تعقل لسان ولي المقتول. أو من العقل، وهو المنع، لأن العشيرة كانت تمنع القاتل بالسيف في الجاهلية ثم منعت عنه في الإسلام بالمال. ينظر مجمع البحرين: ج٥ ص٤٢٥ مادة «عقل».

هذه بعض نقاط الاشتراك، ولكن أهم نقطة افتراق بين الإنسان والحيوانات وكثير من المخلوقات، والتي لها الأهمية العظمى في حياة الإنسان هو: العقل.

فالعقل الذي منحه الله للبشر، يختص بالإنسان وحده دون بقية الحيوانات، فبه عرف الإنسان خالقه، وعرف أمور دينه، وأمور حياته، فمن الأمور الدينية التي أرشده العقل إليها: معرفة الله والأنبياء والرسل والملائكة، واتباع الحق، ودحض الباطل، وما إلى ذلك[1].

أما الأمور الدنيوية (الحيوية) فالعقل كان من ورائها وسببا لتطور الإنسان فيها، فإنه يدل الإنسان على كيفية إيجاد الغذاء، وكيفية صنعه، وإيجاد المسكن والملبس، وهكذا في التطور فيها، وكذلك في الصناعات وسائر أمور الحياة الأخرى، أصلا وتطورا.

فالوجه في تفضيل الله الإنسان على باقي مخلوقاته هو فيما ملكه من العقل وما يترتب على العقل، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ

---

(١) أما معرفة الخالق بالعقل فواضح، لأن البراهين الدالة على وجود الله تعالى وعلى صفاته براهين عقلية يصل إليها العقل. وأما معرفة أمور دينه فلأنها تتوقف على الايمان بصدق النبي ﷺ ولزومه، وهذا مما يدركه العقل، ولا يخفى إمكان القول برجوع هذا الأمر إلى الأمر الأول، أما أمور حياته فواضح لأن الحياة مبنية على الاجتماع السليم وهو لا يتم إلا عبر التعاون والمحبة والود والخدمة للمجتمع، وتلك المعاني التي لا يدرك حسنها إلا العقل.

عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[1].

(١) سورة الإسراء: ٧٠.

## الملائكة والإنسان

إن الله سبحانه وتعالى خلق الملائكة ومنحها العقل ولكن جرّدها عن الشهوة، بخلاف الحيوانات فقد أعطاها الشهوة وجردها عن العقل، ولكنه سبحانه وتعالى عندما خلق الإنسان أعطاه العقل والشهوة معاً، فإذا غلب عقله على شهوته يفضّل على الملائكة، أما إذا كان العكس أي سيطرت شهوته على عقله فهنا يصبح الإنسان أسوء حتى من الحيوانات.

وقد أشار الإمام الصادق عليه السلام إلى هذا المعنى حينما سُئل: الملائكة أفضل أم بنو آدم؟ فقال عليه السلام: «قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: إن الله ركب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركب في البهائم شهوة بلا عقل، وركب في بني آدم كلتيهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم»[1].

نعم يمكن للإنسان المؤمن أن يرتفع ببركة عقله، فيصير أفضل من الملائكة، كما ورد عن الامام الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: «مثل المؤمن عند الله كمثل ملك مقرب، وإن المؤمن عند الله عز وجل أعظم من الملك، وليس شيء أحب الى الله من مؤمن تائب، أو مؤمنة

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٢٠٩ ب٩ ح٢٠٢٩٨.

تائبة».[1]

## من هم العقلاء؟

روى سماعة بن مهران قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده جماعة من مواليه، فجرى ذكر العقل والجهل، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «اعرفوا العقل وجنده، والجهل وجنده، تهتدوا».

قال سماعة: فقلت: جعلت فداك، لا نعرف إلاّ ما عرفتنا.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «إن الله عزوجل خلق العقل وهو أول خلق من الروحانيين عن يمين العرش من نوره، فقال له: أدبر فأدبر، ثم قال له: أقبل فأقبل، فقال الله تبارك وتعالى: خلقتك خلقاً عظيماً، وكرمتك على جميع خلقي، ـ قال: ـ ثم خلق الجهل من البحر الأجاج ظلمانياً، فقال له: أدبر، فأدبر، ثم قال له: أقبل، فلم يقبل!! فقال له: استكبرت، فلعنه، ثم جعل للعقل خمسة وسبعين جنداً، فلما رأى الجهل ما أكرم الله به العقل، وما أعطاه أضمر له العداوة، فقال الجهل: يا رب، هذا خلق مثلي خلقته وكرمته وقويته، وأنا ضده، ولا قوة لي به، فأعطني من الجند مثل ما أعطيته؟ فقال: نعم، فإن عصيت بعد ذلك أخرجتك وجندك من رحمتي؟ قال: قد رضيت، فأعطاه خمسة وسبعين جنداً..

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٧ ص٢٩٩ ب٣٩ ح٦.

فكان مما أعطى العقل من الخمسة والسبعين الجند، الخير، وهو وزير العقل، وجعل ضده الشر، وهو وزير الجهل، والإيمان وضده الكفر، والتصديق وضده الجحود، والرجاء وضده القنوط، والعدل وضده الجور، والرضا وضده السخط، والشكر وضده الكفران، والطمع وضده اليأس، والتوكل وضده الحرص، والرأفة وضدها القسوة، والرحمة وضدها الغضب، والعلم وضده الجهل، والفهم وضده الحمق، والعفة وضدّها التهتك، والزهد وضده الرغبة، والرفق وضده الخرق، والرهبة وضده الجرأة، والتواضع وضده الكبر، والتؤدة وضدها التسرع، والحلم وضدها السفه، والصمت وضده الهذر، والاستسلام وضده الاستكبار، والتسليم وضده الشك، والصبر وضده الجزع، والصفح وضده الانتقام، والغنى وضده الفقر، والتذكر وضده السهو، والحفظ وضده النسيان، والتعطف وضده القطيعة، والقنوع وضده الحرص، والمؤاساة وضدها المنع، والمودة وضدها العداوة، والوفاء وضده الغدر، والطاعة وضدها المعصية، والخضوع وضده التطاول، والسلامة وضدها البلاء، والحب وضده البغض، والصدق وضده الكذب، والحق وضده الباطل، والأمانة وضدّها الخيانة، والإخلاص وضدّه الشوب، والشهامة وضدها البلادة، والفهم وضده الغباوة، والمعرفة وضدّها الإنكار، والمداراة وضدها المكاشفة، وسلامة الغيب وضدها المماكرة، والكتمان وضده الإفشاء، والصلاة وضدها الإضاعة، والصوم وضده الإفطار، والجهاد وضده النكول، والحج

وضده نبذ الميثاق، وصون الحديث وضده النميمة، وبرّ الوالدين وضده العقوق، والحقيقة وضدها الرياء، والمعروف وضده المنكر، والستر وضده التبرج، والتقية وضدها الإذاعة، والإنصاف وضده الحمية، والتهيئة وضدها البغي، والنظافة وضدها القذر، والحياء وضدها الجلع، والقصد وضده العدوان، والراحة وضدها التعب، والسهولة وضدها الصعوبة، والبركة وضدها المحق، والعافية وضدها البلاء، والقوام وضده المكاثرة، والحكمة وضدّها الهواء، والوقار وضده الخفة، والسعادة وضدها الشقاوة، والتوبة وضدها الإصرار، والاستغفار وضده الاغترار، والمحافظة وضدها التهاون، والدعاء وضده الاستنكاف، والنشاط وضده الكسل، والفرح وضده الحزن، والألفة وضدها الفرقة، والسخاء وضده البخل..

فلا تجتمع هذه الخصال كلها من أجناد العقل إلا في نبي، أو وصي نبي، أو مؤمن، قد امتحن الله قلبه للإيمان، وأما سائر ذلك من موالينا فإن أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود، حتى يستكمل وينقى من جنود الجهل، فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، وإنما يدرك ذلك بمعرفة العقل وجنوده، وبمجانبة الجهل وجنوده، وفقنا الله وإياكم لطاعته ومرضاته»[1].

ومن هذا الحديث الشريف يُعرف العاقل عن غيره، فالعقلاء هم

---

(١) الكافي: ج١ ص٢٠ كتاب العقل والجهل ح١٤.

الذين أخذوا بجنود العقل، وغير العقلاء من تركها وأخذ بجنود الجهل.

العقلاء هم الناس الذين يستخدمون العقل في المسار الصحيح، ويسخرونه في طريق تكاملهم، وتكامل مجتمعهم وخدمة الناس بما أمر به الشرع، ويبتعدون عن كل ما يلوث العقل، ويبعده عن صوابه، مثل: شرب الخمر وأعمال السوء، وغير ذلك من الأمور المشينة للعقل، والمنافية للتصرف العقلائي الصحيح.

ومن هنا يمكننا معرفة العقلاء وتشخيصهم في الحياة، حيث يلزم أن يعاشر الإنسان العقلاء ويبتعد عن غيرهم، فالعقلاء من كانت تصرفاتهم عقلائية، وغيرهم من كانت تصرفاتهم غير عقلائية.

## قانون المعرفة وطرقها

إن الله سبحانه وتعالى عندما خلق الإنسان جعله خاضعاً لقوانين وأنظمة خاصة سن الحياة عليها[1]، ومن تلك القوانين: قانون المعرفة، وقد ذكر الحكماء لمعرفة الأشياء عدة طرق، منها:

---

(١) تلك القوانين التي تكون سبباً للتكامل والنجاح والتقدم في الإنسان، ومن هذه القوانين هي قانون المعرفة حيث إن الله عزوجل اهتم بالعلم اهتماماً كبيراً وفي الرواية «إن لكل شيء باباً وباب العلم السؤال»، فمن هذه الرواية والروايات الأخرى نستكشف أهمية المعرفة وكونها أساس التقدم. والله سبحانه وتعالى حين ما جعل هذا القانون سبباً للتقدم جعل أيضاً ما به يمكن الحصول على هذا القانون، ومن طرق المعرفة ما ذكره الإمام المؤلف (أعلى الله مقامه) من القاعدتين.

قاعدة: أنه تعرف الأشياء بأمثالها، أي: معرفة الشيء بمقارنته بمثله.

وقاعدة: أنه تعرف الأشياء بأضدادها، أي: معرفة الشيء بمقارنته بضده.

فيمكن معرفة بعض الأشياء إما بمقارنته بشيء مثله، أو بمقارنته بشيء ضده، مثلاً: إذا أريد معرفة البياض وشدته، يمكن تعريفه بمقارنته ببياض آخر، وكلاهما يفرّق نور البصر لكن على درجات، أو نعرفه بمقارنته بضده الذي هو السواد، فالسواد قابض للبصر، وهكذا في سائر الأشياء.

وهذه القاعدة تنطبق نوعا ما على معرفة العقلاء وتصرفاتهم، ومعرفة غير العقلاء وتصرفاتهم.

فإذا أردنا معرفة العقلاء وتشخيصهم في المجتمع والتأريخ، يمكن لنا ذلك وبسهولة فنقارنهم بأضدادهم الذين هم ـ غير العقلاء ـ أي: السفهاء والمجانين الذين يمارسون الأعمال الاعتباطية مما يضرون به أنفسهم ويضرون الآخرين به، فإذا وجدنا إنساناً لا يمارس الأعمال الاعتباطية، ولا يضر نفسه، ولا الآخرين فهو من العقلاء. ولا يخفى أن العقل كل العقل هو طاعة الله عزوجل، فإنه أمان من الأضرار والأخطار. وقد روي أنه قيل للنبي ﷺ: ماالعقل؟ قال: «العمل بطاعة الله، وإن العمال بطاعة الله هم العقلاء»[1].

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٢٠٨ ب٨ ح١٢٧٥٥.

وهكذا تكون لدينا صورة واضحة لتشخيص الإنسان العاقل وغير العاقل، عبر التصرفات العقلائية وغير العقلائية، فإن من يقوم بمساعدة المحتاجين وينبه الغافلين، ويدل الناس على الصراط المستقيم، ويحنو على اخوانه ويرعاهم ويكون أمينا على أموالهم وأنفسهم وعيالهم، فهو من العقلاء الممدوحين في الناس على طول الخط.

أما من يُعرف ـ والعياذ بالله ـ برذيلة شرب الخمر أو الكذب أو الغيبة أو السفه في تصرفاته، وعدم التوازن في مأكله وملبسه ومعشره، فهو من غير العقلاء.

فمثلاً لو كان هناك والد يهتم بولده ويربيه تربية حسنة ويسعى لإبعاده عن الأمراض والأعراض فإذا إصابته وعكة أو أحس بمرضه أخذه إلى الطبيب واعتنى به حتى يبرء، فإن هذه التصرفات تدل على عقله وأنه من العقلاء.

وإذا رأينا شخصاً قام بالإضرار على أولاده ولم يحسن التصرف في تأديبهم، فإذا ارتكب طفل غير رشيد خطأ، رأيت هذا الوالد في حالة عصبية شديدة هستيرية لا يمكن ردعه عنها فيأخذ السكين فيقطع يد ولده وفلذة كبده!! أو يعمل عملاً يضر بنفسه أو غيره، فهل يسمى هذا عاقلاً وهل يمكن أن يعد من العقلاء؟!!

إن التصرفات العقلائية واللاعقلائية هي التي تبين ببرهان الإنّ [1] مدى عقل الإنسان.

## من آثار عدم التعقل

إن الابتعاد عن التصرفات العقلائية يوجب آثاراً سلبية كثيرة، والتاريخ شاهد على ما نقول:

كان أحد الأشخاص الأثرياء، ويعمل بوظيفة مدير لإحدى المدارس، كثير التدخين حتى أضر التدخين به واضطر أن يسافر إلى لندن للعلاج، وقد حذره الأطباء هناك بأن استمراره في التدخين يوجب السرطان وسيقضي على حياته ..، والمفروض أن يكون الشخص المثقف في المجتمع يراعي صحته، والمتوقع منه أن يكون قدوة لغيره في التصرفات العقلائية، ولكن هذا الشخص بعد ما أحس بتدهور حالته الصحية، ذهب إلى لندن للمعالجة والفحص العام لحالته البدنية ورجع، فقمنا بزيارته برفقة جمع من الأصدقاء، وبعد تهنأته بسلامة العودة، سألناه عن نتائج الفحص وأسباب تدهور صحته، وعن تشخيص الأطباء لحالته؟

فقال: إن الأطباء المتخصصين قالوا: إن مرضي ناتج عن الإفراط في

---

(١) ذكر المناطقة أن البرهان قد يكون لمياً وقد يكون إنياً. فإذا وصلنا من العلة للمعلول فهو اللم، وإن وصلنا من المعلول للعلة فالإنّ. للتفصيل انظر (المنطق) للمرحوم المظفر رحمه الله.

التدخين، وفي حالة استمراري على التدخين فإني سأصاب بمرض السرطان حتماً، وفي أثناء كلامه هذا أخرج علبة السجائر من جيبه وبدأ بالتدخين!! حينها قال له الجالسون بتعجب: كيف تدخن، ولا تترك التدخين، رغم تحذير الأطباء لك؟!

فأجابهم بلا مبالاة: ليس الأمر مهماً ـ أي اصابته بالسرطان ـ !!

وبالفعل بعد فترة قصيرة، سمعنا أنه استفحل عليه المرض بشدة هذه المرة، فذهب إلى لندن للعلاج مرة ثانية، وحينما عاد من سفره الثاني، وذهبنا لزيارته أيضاً، أخبرنا قائلاً: إن الأطباء يقولون: إن المرض في هذه المرّة تحول وبشكل أكيد إلى سرطان في الرئة، وأني قد لا أعيش وأقاوم هذا المرض أكثر من ستة أشهر!!

وفعلاً، وبعد ستة أشهر ودّع هذا الرجل الدنيا، وذهبنا لحضور تشييع جنازته!!

فهل هذا التصرف مقبول ومعقول من إنسان كان اللازم عليه أن يكون أكثر عقلانياً، بحكم ثقافته ومركزه الوظيفي والاجتماعي، وهل هناك من يمدحه على تصرفه هذا ولا مبالاته واستهانته بصحته التي أنعم بها عليه الباري ؟!

فلو كان تصرف هذا الشخص تصرفاً عقلائياً، لما وصل إلى هذه الحالة التي أفقدته حياته بهذه السهولة، صحيح أن الموت والآجال بيد الله، ولكنه سبحانه وتعالى جعل لكل شيء سبباً، وعلى الإنسان أن

يتبع الأساليب الصحيحة لتدبير أموره والحفاظ على صحته من خلال الالتزام بالعادات الصحية والاجتناب عن العادات السيئة، وامتثال أوامر الله تعالى والانزجار والردع عن نواهيه، والباقي على الله.

فلو مرض الإنسان يجب عليه أن يهيئ الأسباب لعلاجه كتوفير المال والواسطة، والبحث عن الطبيب الحاذق لكي يعالجه، وما إلى ذلك[1]...

فإذا كانت له القدرة على ذلك ولم يهتم بتوفير الأسباب فسوف يحاسبه الله تعالى على تقصيره، فقد روي عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال: «أبى الله أن يجري الأشياء إلا بأسباب، فجعل لكل شيء سبباً، وجعل لكل سببٍ شرحاً، وجعل لكل شرح علماً، وجعل لكل علم باباً ناطقاً، عرفه من عرفه وجهله من جهله، ذاك رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن»[2].

وعنه عليه السلام أيضاً قال: «قال موسى عليه السلام: يا رب، من أين الداء؟ قال: مني.

---

(١) ولا يخفى أن هذا الأمر مما جعله الله عز وجل في هذه الحياة؛ لأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ﴾ ويقول سبحانه: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ ومن سنن الله التي أودعها في الحياة هي الواسطة، فترى أنه عز وجل يبلغ دينه لا بنفسه سبحانه بل بطريق أنبيائه عليهم السلام.

(٢) الكافي: ج١ ص١٨٣ باب معرفة الإمام عليه السلام والرد إليه ح٧.

قال: فالشفاء؟ قال: مني.

قال: فما تصنع عبادك بالمعالج؟! قال: يطبب بأنفسهم، فيومئذٍ سمي المعالج: الطبيب»[1].

وسُئل رسول الله صلى الله عليه وآله: أنتداوى؟

قال: «نعم، فتداووا، فإن الله لم ينزل داءً إلا وقد أنزل له دواء، وعليكم بألبان البقر، فإنها ترعى من كل الشجر»[2].

إذاً، الإنسان الذي لا يسير بسيرة العقلاء ولا يتصرف بالتصرفات العقلائية نراه دائماً يبتلي مع مرور الزمن بأمور هو في غنى عنها وكان يمكن له تجنبها بالسير على سيرة العقلاء، وليس سيرة السفهاء أو المتهورين، وقد قال الله تعالى في قرآنه الكريم: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[3] مشيراً سبحانه وتعالى إلى ضرورة التحلي بالاعتدال واختيار حالة الوسط العقلائية في كل فعل يقوم به، وعمل يقدم عليه، وفكرة يريد تبنيها أو مناقشتها.

## الحيوانات ورسائلها

ذكر بعض العلماء قصصا فيها حكم وعبر على لسان الحيوانات،

---

(١) وسائل الشيعة: ج٢٥ ص٢٢١ ب١٣٤ ح٣١٧٣٦.

(٢) وسائل الشيعة: ج٢٥ ص٢٢٣ ب١٣٤ ح٣١٧٤٥.

(٣) سورة البقرة: ١٤٣.

وهذه القصص والحكايات فيها إشارات ودلالات ترمز إلى قضايا مهمة في حياة البشر، ينقل أن دجاجة قالت يوما لأحد أفراخها: إياك أن تقترب من القطة؛ لأنها عدوتك تريد أن تأكلك، فالحذر الحذر منها.

ولكن الفرخ لم يقبل النصحية من أمه وقال: لا يا ماما، إن القطة لاتفعل ذلك، فهي حيوان لطيفة جميلة !! فاقترب يوما الفرخ من القطة دون مبالاة ودون التفات لتحذير أمه، وإذا بالقطة تمسكته وبسرعة خاطفة بمخالبها، وراحت تأكله قطعة قطعة.

وهكذا يكون الإنسان الذي لا يعتني بعقله، ويتصرف تصرفات غير عقلائية، فإنه يكون مصيره السقوط في الهاوية والعياذ بالله، ويخسر الدنيا والآخرة، فلا يكون إنساناً نافعاً لا لنفسه ولا لمجتمعه.

## كيفية إنماء العقل

قال الله العظيم في محكم كتابه الحكيم: ﴿كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾[1].

وقال تبارك اسمه: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً ۞ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً ۞ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ۞ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلا وَأَغْلالاً وَسَعِيراً ۞ إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً ۞ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً﴾[2].

وقال تبارك اسمه: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[3].

إن الله سبحانه وتعالى عندما منح الإنسان العقل، منحه لكافة الناس وخلقهم أحراراً يمكنهم الأخذ بما تحكم به عقولهم، كما يمكنهم ترك العقل واتباع الهوى والشيطان.

كما جعل العقل بحيث يمكن تطويره، فالإنسان هو الذي يعمل على تنمية هذه الجوهرة بالأعمال الصالحة والابتعاد عن الأعمال السيئة، أو

---

(١) سورة الإسراء: ٢٠.

(٢) سورة الانسان: ١ـ٦.

(٣) سورة فصلت: ١٧.

يعمل على تعطيلها أو تحجرها بالأعمال السيئة والابتعاد عن أعمال الخير.

إن الله سبحانه وتعالى خلق يزيد بن معاوية ـ وغيره من العباد ـ وخلق لجميعهم العقل، فكل الناس لها من العقل المدرك للخير والشر تكويناً، فالصالح تمسك بعقله واهتدى به إلى النور، ولكن الفاسق أخذ بالانحراف عن جادة الحق واتبع طريق الشر والرذائل ولم ينمّ عقله بعمل الخير ومرضات الله، فحول عقله الذي أنعم الله به عليه إلى نقمةٍ عليه.

## العقل وشبيهه

هذا وقد سبق في الروايات: أن العقل ما يكتسب به الجنان، والمقصود أنه لو أخذ بالعقل فهو يوجب له الجنة والرضوان، فلا يقال: إنا نرى الفساق والفجار يتصرفون بعض التصرفات العقلائية، فكيف يتم ذلك بملاحظة الرواية الشريفة؟!

لأننا نقول: إن تمام العقل الذي يصح أن نقول لصاحبه: هو عاقل، هو في اتباعه والسير على جادة الحق، وما دونه ليس بتمام العقل، وإنما هو شبيه بالعقل، ففي رواية عن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام قال: قلت له: ما العقل؟

قال عليه السلام: «ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان».

قال: قلت: فالذي كان في معاوية؟

فقال عليه السلام: «تلك النكراء، تلك الشيطنة، وهي شبيهةٌ بالعقل، وليست بالعقل»[1].

وروي أنه مر رسول الله صلى الله عليه وآله بمجنون فقال: « ما له؟» فقيل: إنه مجنون، فقال صلى الله عليه وآله: «بل هو مصاب، إنما المجنون من آثر الدنيا على الآخرة»[2].

وهكذا كان يزيد حيث ارتكب أبشع جريمة في التأريخ وأعظم مصيبة في السماوات والأرض بقتله الإمام الحسين عليه السلام ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وقد عصى الله سبحانه وتعالى بذلك، وخسر الدنيا والآخر، وأخّر مجتمعه عن الكمال والتطور والتقدم والخير والفضيلة؛ ونال اللعنة من الله ورسوله ومن المؤمنين الى يوم الدين، مضافا إلى العذاب الأليم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[3].

وكذلك قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[4].

---

(١) الكافي: ج١ ص١١ كتاب العقل والجهل ح٣.

(٢) مشكاة الأنوار: ص٢٧٠.

(٣) سورة آل عمران: ٢١.

(٤) سورة الزمر: ١٥.

كما أنه أخّر وأضر بمجتمعه؛ لأن بعضهم اتبعوه في عمله السيئ، واتخذوه قدوة لهم فخسروا خسراناً كبيراً، حيث قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً﴾[1].

## الإنسان وعمل الخير

أما الإنسان المؤمن الذي يتبع العقل ويتصرف بالتصرفات العقلائية، وينمي عقله بعمل الخير والابتعاد عن المعاصي وعن التصرفات غير العقلائية، فان الله يبارك في عمله ويعطيه أجره، حيث قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2].

فالواجب على الإنسان العاقل أن يتعلم ويعمل قبل أن يسقط في وادي الجهالة والهلكة، وأن يكسب العلم مع العقل، والعمل مع العلم، وحينئذ يصبح نافعاً لنفسه ومجتمعه، ويفوز بسعادة الدارين..

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مخاطباً الشخص الذي كان يتحدث بما لا يليق ويتكلم بفضول الكلام: «يا هذا، إنك تملي على حافظيك كتاباً إلى ربك، فتكلم بما يعنيك ودع ما لا يعنيك»[3].

---

(١) سورة النساء: ١١٩.

(٢) سورة البقرة: ١١٢.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٣٩٦ باب النوادر ح٥٨٤١.

فيدل كلام الإمام عليه السلام على لزوم أن ينتبه الإنسان ويعرف أنه قبل أن يخرج الكلام من بين شفتيه.. فإن هناك ملكين كريمين يكتبان ما ينطق به كل شخص، ثم يعرضانه على الله، وفي هذا الصدد يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۞ كِرَاماً كَاتِبِينَ ۞ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[1].

ولما كان قول الإنسان تحت المراقبة، فكيف بعمله الذي هو أشد فعلاً وتأثيراً من القول عادة؟!.. وتشير الآية المباركة إلى هذه الجهة: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[2].

إذاً، لابد من الانتباه والحيطة على أقوالنا وأفعالنا، كما علينا أن نحكم عقولنا في كل أعمالنا لتكون التصرفات عقلائية وبعيدة عن اللا عقلائية، قال الإمام الصادق عليه السلام: «قال أمير المؤمنين: لا تقطعوا نهاركم بكذا وكذا، وفعلنا كذا وكذا؛ فإن معكم حفظة يحصون عليكم وعلينا »[3].

## رضا خان والسلطة

إن رضا خان البهلوي[4] أراد أن يتظاهر بحب الإسلام والتدين،

---

(١) سورة الانفطار: ١٠ـ ١٢.

(٢) سورة الانفطار: ١٢.

(٣) بحار الانوار: ج٥ ص٣٢٩ ب١٧ ح٢٧.

(٤) رضا بهلوي (١٨٧٨ـ ١٩٤٤م) شاه ايران، ابن عباس علي خان، ولد عام (١٨٧٨م) وهو مؤسس أسرة (بهلوي) الحاكمة منذ عام (١٩٢٥م) إلى قيام الثورة ←

ويخفي بذلك حقيقته، حيث إنها كانت على العكس تماماً، وقد حاول عندما تسلّم السلطة أن يكسب عواطف بعض الناس وذلك بزيارته العتبات المقدسة، والتظاهر بالاهتمام بشأن إعمارها. وقام بالتبرع لتعميرها[1]، وربما أطلق لحيته، أو شارك الناس في مراسيم العزاء الحسيني.

---

←

الإسلامية، رضا خان أصله ارمني من كرجستان، هاجر إلى إيران في زمن القاجار، درس الفنون العسكرية والتحق بالجيش الايراني، عام (١٩٠٠م) وتدرج في المناصب العسكرية، اشترك عام (١٩٢٠م) في الثورة التي ناهضت تغلغل السوفييت في ايران، وفي السنة التالية عين قائداً عاماً للجيش فوزيراً للحربية، ثم رئيساً للوزراء عام (١٩٢٢م) فعمل على تنظيم الجيش، وفي عام (١٩٢٥م) أعلن البرلمان الايراني نزول الشاه القاجاري عن العرش فقدم التاج له، فلقّب نفسه بالبهلوي.

حكم بالظلم والجور والاستبداد ونشر الفساد، واتّسم حكمه بإحياء القومية الفارسية، وساعد على نشر المذهب البهائي، والقضاء على المعالم الإسلامية بهدم المساجد والمدارس، ومنع العلماء ورجال الدين والفكر من ممارسة أدوارهم في الحياة.

أعلن الحياد في الحرب العالمية الثانية، لكن الحلفاء احتلوا بلاده لدواعي إستراتيجية، مما أدى إلى عزله وتنصيب ابنه مكانه، فأجبر على التنازل لابنه محمد عام (١٩٤١م).

نفاه الإنجليز إلى جزيرة موريس بعد أن صادروا مقتنياته من الحقائب المملوءة بالمجوهرات والأشياء الثمينة بعد حكم دام ستة عشر عام، وقتل في منفاه عام (١٩٤٤م) ودفن في طهران.

(١) وهذه سياسة يتخذها أكثر الحكام المستبدين لجلب المحبوبية كما يحدثنا التاريخ عن ذلك في الكثير من الحكّام.

ولكن عندما استقر له الحكم وتوطدت أركانه وبسط سيطرته ظهرت حقيقته وانكشفت نواياه السيئة للإسلام والمسلمين، فوجه ضرباته القاسية على الإسلام والمسلمين بكل ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.. فمثلاً أمر بسنّ قانون السفور، ومنع الحجاب في إيران (هذا القانون الذي لم تعرف له البلاد الاسلامية مثيلاً في كل الأزمنة السابقة في تأريخها، والذي ذهب بسببه الآلاف من الناس المؤمنين، فبعدما اعترض الشرطة النساء المحجبات ومنعوهن من ارتداء الحجاب، حدثت مواجهات في مناطق عديدة من إيران راح ضحيتها عدد كبير من المؤمنين بل وحتى من النساء المؤمنات.

وشهد رضا خان على نفسه ـ مرة أخرى ـ أنه عدو للإسلام وللشرع الحنيف، حيث قام بمنع إقامة مجالس عزاء الامام الحسين عليه السلام بكل أشكالها ـ بل وسائر الشعائر الدينية، حتى أنه منع الايرانيين من الذهاب إلى العتبات المقدسة في العراق وغيره.

كما أنه لم يكتف بسد الأبواب الدينية فقط ومنع مظاهر التدين، بل سعى إلى فتح أبواب الفحشاء والدعارة والبغضاء والمنكرات.

كما قام بأفعاله الإجرامية بمحاربة العلماء والحوزات العلمية، ومنعهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسجنهم أو تبعيدهم إلى مناطق بعيدة عن التجمع والناس.

نعم، كان سلوك رضا خان متناقضاً قبل الحكم وبعده بشدة، فبينما

هو يتبنى الدين والتدين قبل حكمه ويتظاهر بتأييده، وإذا به يرفضه ويحاربه بعد استيلائه على مقاليد الحكم؛ فقبل تربعه على كرسي السلطة، كان يشارك في مواكب عزاء فرق الجيش يوم عاشوراء في مراسيم عزاء التطبير وغيره، ويتظاهر بالإيمان والتديّن والحزن والاهتمام بالشعائر الحسينية. كما كان يذهب إلى بيوت العلماء ويتظاهر بحبهم والاحترام لهم، وهكذا كان في بداية حكمه، حيث كان يتردد أحياناً على منزل المرجع الأعلى الشيخ عبد الكريم الحائري قدس سره [1]،

---

(١) الشيخ عبد الكريم بن محمد جعفر المهرجردي اليزدي الحائري القمي، فقيه جليل وعالم كبير وزعيم ديني شريف، ولد سنة (١٢٧٦هـ) في مهرجرد من قرى يزد، جاور مدينة سامراء بعد إكماله السطوح، فحضر على أبرز علمائها، مثل: السيد المجدد الكبير الشيرازي والسيد محمد الفشاركي الأصفهاني والميرزا محمد تقي الشيرازي وغيرهم. بعد وفاة السيد المجدد هاجر الشيخ مع السيد الفشاركي إلى النجف الأشرف، وظل ملازما لدروس السيد الفشاركي، إلى أن توفي الفشاركي سنة (١٣١٦هـ). هبط كربلاء المقدسة فاستمر بدرسه وتدريسه، وكان الميرزا محمد تقي الشيرازي يبجله ويشير إليه ويعترف بفضله ومكانته، حتى أنه أرجع احتياطاته إليه، فلفت ذلك إليه الأنظار وأحله مكانة سامية في النفوس، وأقام في مدينة آراك الإيرانية بطلب من وجهائها وعلمائها، وكان هناك بعض أهل العلم فأسس حوزة علمية هناك. وفي سنة (١٣٤٠هـ) هبط مدينة قم المشرفة بدعوة من رجال العلم فيها فأسس الحوزة العلمية فيها، بعدما أظهر عزمه الشديد على جعلها مركزاً علمياً له شأنه في خدمة الإسلام وإشادة دعائمه، فعلى صيته في العالم الإسلامي بعد تأسيسه هذه ←

ويطلب رسالته العملية ويدعّي أنه أحد مقلديه، ولكنه عندما توفي الشيخ الحائري منع حتى من إقامة مجالس الفاتحة على روحه؟!

وهكذا هم الطغاة ـ غالباً ـ فحينما تستتب لهم الأوضاع يشيحون اللثام عن وجههم الحقيقي، ويبدون الخافي من نواياهم الخبيثة، وعداوتهم للإسلام والتشيع والشعائر الحسينية!

واستمات رضا خان في خدمة أسياده الغربيين في محاربة الاسلام وقد أصدر قوانين صريحة منع بموجبها الحجاب، وشجع وأباح التبرج والسفور والفجور! الأمر الذي دفع بالعلماء إلى أن يقفوا في وجهه، ويتخذوا منه موقفاً صارماً معارضاً بكل الوسائل المشروعة الممكنة، ومن هؤلاء وعلى رأسهم كان المرجع الأعلى الشيخ عبد الكريم الحائري قدس سره، والمرجع الكبير آية الله العظمى السيد حسين القمي[1]

---

→

الحوزة المباركة كثيراً، ترك عدّة مؤلفات أهمها: درر الفوائد في الأصول، والصلاة في الفقه.

توفي قدس سره سنة (١٣٥٥هـ) وجرى له تشييع عظيم ودفن في رواق حرم المعصومة فاطمة عليها السلام. للتفصيل انظر طبقات أعلام الشيعة، نقباء البشر: ج١ ق٣ ص١١٥٨ الرقم ١٦٩٢.

(١) السيد حسين بن محمود بن محمد بن علي الطباطبائي القمي، ولد في مدينة قم المقدسة سنة (١٢٨٢هـ) درس فيها المقدمات، وواصل دروسه في طهران، ثم انتقل إلى النجف الأشرف سنة (١٣١١هـ) فحضر درس الشيخ حبيب الله الرشتي والشيخ النهاوندي والآخوند الخراساني والسيد اليزدي، ثم هاجر إلى سامراء سنة (١٣٢١هـ)

←

وغيرهم.

وفي زمنه حدثت واقعة مسجد (كوهر شاد) بمدينة مشهد المقدسة حيث قتل ألوف الناس فيها [1].

## إرادة الله فوق كل شيء

وهنا تدخلت إرادة الله التي تفوق كل الارادات وكل التخطيطات، فوضعت حداً لتصرفات رضا خان، فكانت نهايته نهاية مأساوية لكي يكون عبرة لكل الظلمة والطغاة من بعده، فحينما أخرج رضا خان من إيران، قيل إنه أخذ معه حوالي (٢٠٠٠) حقيبة من المجوهرات والأشياء الثمينة والأثرية والتراثية من ممتلكات الشعب الإيراني.

ولكن وقبل أن يصل رضا خان إلى جزيرة «موريس» ـ وبعملية

---

→

وواصل درسه وبحثه على يد علمائها، ثم انتقل إلى مشهد الرضا عليه السلام وبدأ بالبحث والتدريس. اشتهرت مواقفه السياسية في التصدي للبهلوي الأول رضا خان. أبعده البلهوي من إيران إلى العراق وسكن كربلاء المقدسة، ورشح للزعامة الدينية بعد وفاة السيد أبي الحسن الأصفهاني، ورجع الكثير من الناس إليه، وزادت وجاهته وعظم شأنه، توفي بعد عدة شهور في بغداد وذلك في (١٤ ربيع الأول سنة ١٣٦٦هـ) عن عمر يناهز الرابعة والثمانين سنة، من مؤلفاته: مجمع المسائل، الذخيرة الباقية في العبادات والمعاملات، مختصر الأحكام، طريق النجاة، منتخب الأحكام، مناسك الحج، هداية الأنام، للتفصيل انظر نقباء البشر: ج١ ق٢ ص٦٥٣ الرقم١٠٨٩.

(١) مقتلة قام بها البهلوي الأول في مشهد الإمام الرضا عليه السلام في مسجد «كوهر شاد» الملاصق بالحرم الشريف ذهب ضحيتها أكثر من ثلاثة آلاف إنسان.

مصطنعة ـ رست السفينة التي كانت تقله إلى منفاه على ساحل إحدى الجزر بحجة عطل محركها، ثم نقل إلى سفينة أخرى، ولما سألهم عن تلك الحقائق والأموال والمقتنيات القيمة؟ قالوا له: إنها ستنقل بعدك إلى سفينتك الجديدة.

إلا أن الذي حدث أن السفينة الأولى التي نزل منها رضا خان واصلت مسيرها لتنقل معها أموال وثروة المسلمين في إيران إلى (لندن) عاصمة بريطانيا، التي كانت تغتصب ـ ولا زالت ـ ثروات المسلمين في كل مكان.

ولما وصل رضا خان إلى جزيرة (موريس) استأجر بيتاً من أحد اليهود هناك، وكان بيتاً عادياً على خلاف ما كان يسكنه في طهران من القصور الفخمة، فذاق البهلوي في سكناه عذابا كثيرا، وبعد عدة أشهر جاءه اليهودي (صاحب الدار) وأخرجه من الدار، مما اضطره إلى أن يسكن داراً أسوأ من الأولى.

وحينما عقد مؤتمر في إيران بعد الحرب العالمية الثانية [1] وحضر

---

(١) الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ـ ١٩٤٥م) كانت السياسة العدوانية التي اتبعتها قوات المحور (ألمانيا ـ ايطاليا ـ اليابان) أهم الأسباب التي أدت إلى اشتعالها. وبلغت الذروة باستيلاء الألمان على بوهيميا ومورافيا (١٩٣٩م) عقد هتلر ميثاق عدم اعتداء مع الاتحاد السوفيتي السابق في (آب ١٩٣٩م) ثم هاجم بولندا في (أيلول ١٩٣٩م) فأعلنت انجلترا وفرنسا الحرب على ألمانيا، وسرعان ما انتصرت ألمانيا على بولندا، ثم ←

→

تابعت ألمانيا الغزو وقضت على الحلفاء في فرنسا، دخلت ايطاليا الحرب في (١٠حزيران). استسلمت فرنسا (٢٢حزيران ) ووقفت انجلترا وحدها بزعامة تشرشل في المعركة تقاوم القاذفات الألمانية. ثم انتقل القتال إلى أفريقيا بين الايطاليين والبريطانيين، وفي البلقان بين الايطاليين واليونايين. ثم غزت ألمانيا هنغاريا وبلغاريا ويوغسلافيا (١٩٤١م) وكسب المحور الشوط الأول، ثم غزا هتلر روسيا عام (١٩٤١م) ثم هاجمت اليابان امريكا والفليبين والملايو ( ٧ كانون الأول ١٩٤١م) فأعلنت الولايات المتحدة وغالبية حلفائها ـ عدا روسيا ـ الحرب على اليابان. وأعلنت ألمانيا وحلفائها ـ عدا فنلندا ـ الحرب على الولايات المتحدة.

وصلت قوات المحور الى ستالينغراد والقوقاز هددت الغواصات الألمانية ملاحة الحلفاء الذين قاموا بهجوم في جبهات عديدة وانتصروا في بعضها، وفي شمال أفريقيا انتهى القتال بانتصار الحلفاء في جبهة أفريقيا. ثم غزا الحلفاء جزيرة صقلية جنوب ايطاليا فسلمت الأخيرة (أيلول ١٩٤٣م) أنتصرت أمريكا في معارك بحرية ضد اليابان واستردت الفيلبين عام (١٩٤٥م) وانتقلت المعارك الى اليابان نفسها. ثم انتصرت روسيا في ستالينغراد (١٩٤٣م) وقامت بهجوم مضاد على طول الجبهة لطرد الألمان فوصلت جيوشها (١٩٤٤م) الى بولندا وهنغاريا وطردت قوات المحور من البلقان. ونشبت ببطء حرب العصابات نزلت قوات الحلفاء في نورماندي (حزيران ١٩٤٤م) غرب فرنسا، تحررت فرنسا أواخر عام ١٩٤٤م) وبلجيكا من قوات الألمان، واتجه القتال الى هولندا وقلب ألمانيا التي أبيدت معسكراتها الصناعية والعسكرية، وفي (٧ آيار ) سلمت المانيا دون شروط، وفي (آب) أسقطت الولايات المتحدة أول قنبلة ذرية على هيروشيما وناغازاكي. أعلن الاتحاد السوفيتي الحرب على اليابان وغزت قواته منشوريا وأعلنت اليابان الاستسلام (١٤ أغسطس ) ووقعت شروط التسليم (٢ ايلول ١٩٤٥م) وأنتهت الحرب.

←

(تشرشل)[1]..

و(ستالين)[1]، قال ستالين للشاه الابن محمد رضا البهلوي[2]: إن

---

→

كانت الخسائر البشرية والمادية جسيمة جداً، حيث قيل: إن عدد القتلى بلغ (٥٠ مليون) وقيل: (٧٠ مليون) إنسان، الغالبية العظمى منهم مدنيين. وأهم نتائج الحرب إنشاء هيئة الأمم المتحدة. للتفصيل انظر الموسوعة العربية الميسرة: ج٤ ص١٤٩٦ «الحاء».

(١) ونستون تشرشل (١٨٧٤- ١٩٦٥م) السير ونستون ليونارد سبنسر، سياسي ورجل دولة، ينتمي إلى أسرة بريطانية معروفة، زعيم لحزب المحافظين، رئيس الحكومة عام (١٩٤٠- ١٩٤٥م) و(١٩٥١- ١٩٥٥م) أسهم في انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية. عمل كمراسل حربي، وأسر في حرب البوير في جنوب أفريقيا، ثم انتخب نائباً عن حزب المحافظين في البرلمان، وانضم إلى حزب الأحرار، وعين وزيراً للتجارة عام (١٩٠٨م)، وبقي يتسلم المهام الوزارية الكبرى كوزارة الداخلية ووزارة البحرية، ووزيرا للمستعمرات إلى عام (١٩٢٢).

حذر من عواقب هتلر والنازية، وعند نشوب الحرب العالمية الثانية انتخب رئيساً للوزراء، واكتسب شهرته لدوره في قيادة بريطانيا في الحرب. عارض استقلال المستعمرات البريطانية، فشل حزبه في انتخابات عام (١٩٤٥م)، ثم عاد إلى رئاسة الوزراء عام (١٩٥١م) وتقاعد عن الحياة السياسية عام (١٩٦٤م).

كان متطرفاً في ولائه لليهود ولعب دوراً خطيراً في دعم مشروع إقامة دولة صهيونية في فلسطين على حساب العرب، وعلى الرغم من عجزه وفشله في العديد من القضايا الرئيسية في حياته فإن الكثير من الغربيين يعتبرونه من اعظم رجال التاريخ الحديث. للتفصيل انظر الموسوعة السياسية : ج١ ص٧٤١ حرف التاء.

→

(١) جوزيف ستالين: رئيس شيوعي بارز، حكم الاتحاد السوفيتي حكماً مطلقاً بالجور والاستبداد والظلم والقمع، من عام (١٩٢٨- ١٩٥٣م). نشأ في ظل لينين مؤسس الاتحاد السوفيتي، استلم قيادة الحزب والدولة من بعده وفتك بمعارضيه، ودعم أسس الدولة السوفيتية وفق نظرية «الاشتراكية في بلد واحد» وقاد بلاده نحو الانتصار في الحرب العالمية الثانية، وتقاسم مناطق النفوذ في العالم مع الولايات المتحدة الأمريكية في مؤتمر يالطا.

أحدث طفرة في الصناعة الاتحادية حيث أصبحت روسيا واحدة من أقوى دول العالم الصناعية. حول ستالين الأراضي الزراعية المستقلة إلى أراضي جماعية أو حكومية.

مات عام (١٩٥٣م) فاتجه الاتحاد السوفيتي إلى التخفيف من الدكتاتورية، ثم بدأ النظام الدولي في التغير وخاصة في نظام الاتحاد السوفيتي بدءاً من عام (١٩٨٥م)، حيث انفرط عقد حلف وارسو، ثم انهار بنيان الاتحاد السوفييتي الذي آل في النهاية إلى السقوط والزوال، وذلك في عام (١٩٩١م) واصبح جزءً من الماضي والتاريخ. انظر الموسوعة السياسية: ج٣ ص١٣٧ ـ ١٣٨ حرف السين.

(٢) محمد رضا البهلوي (١٩١٩- ١٩٨٠م)، إمبرطور إيران الأخير، لقب نفسه (شاهنشاه آريامهر) ويعني ملك الملوك، خلف والده الذي أزيح عن الحكم بأمر الغرب، أصبح ملكاً عام (١٩٤١م). عارض تأميم النفط الذي اقدم عليه رئيس وزراءه محمد مصدق مطلع الخمسينات، وسع نفوذه وسيطرته على البلاد وقام بتعزيز قدرة الأجهزة الأمنية، فشكل جهاز (السافاك)، عرف بشرطي المنطقة. أعترف بإسرائيل واقام علاقات دبلوماسية معها.

وفيما كان الكثير من الشعب الايراني يعيش حياة العوز والفقر كان الشاه ينفق الملايين على أمور تافهة كالاحتفال الأسطوري الذي أقامه بمناسبة مرور (٢٥٠٠ عام) على إنشاء الدولة الفارسية. وكذلك المجوهرات التي كانت تقتنيها زوجته التي قدرت بمئات ملايين الدولارات.

واثر الكثير من الفضائح وبروز معطيات سياسية جديدة في المنطقة، بدأ العد العكسي
←

والدك يعيش وضعاً متردياً في جزيرة (موريس) لذا أرى أن تطلب من (تشرشل) أن ينقله إلى منطقة أحسن، تكون فيها وسائل عيش وهواء مناسب كأن تكون على سواحل البحر الأسود، فقام ـ البهلوي ـ بطلب ذلك من (تشرشل) الذي ـ حسب الظاهر ـ لم يبدي ممانعة في ذلك.

ولكن بعد انتهاء جلسات المؤتمر أعطى (تشرشل) الضوء الأخضر لسفيره في إيران بقتل رضا خان خوفاً من روسيا وحصولها على أسرار إيران وبريطانيا منه، فإن ايران كانت تحت الاستعمار البريطاني، فيصبح هذا صيداً ثميناً لروسيا. ولتنفيذ هذا الأمر ذهب شخص إنجليزي إلى جزيرة (موريس) واستطاع أن يقتل رضا خان بزرقه إبرة خاصة مات على اثرها. وهكذا يكون مصير الطغاة من الذل والهوان.

## طغيان المتوكل

---

→

لتخلي الغرب عن صديقه الشاه ـ كما هي العادة ـ وبدعوة من العلماء المراجع والحوزات العلمية انطلقت مظاهرات عارمة في جميع أنحاء ايران التي استمرت ليلا ونهارا، وذهب ضحية القمع الوحشي لهذه المظاهرات المئات وقيل الآلاف من أفراد الشعب الايراني، حتى أن قسما كبيرا من أفراد الجيش انضم للمتظاهرين بسبب الوحشية التي كانت تقاوم بها المظاهرات، مما اضطر الشاه إلى مغادرة إيران بطائرته الخاصة عام (١٩٧٩م) إلى مصر، فسقط آخر نظام ملكي في إيران، وابتدأت مرحلة جديدة في هذا البلد، توفي الشاه نتيجة مرض السرطان عام (١٩٨٠م)، وقيل: إن اسباب الوفاة كانت مفتعلة.

وفي التاريخ أن المتوكل العباسي وكان من أشد الطغاة وأظلمها، أمر بالهجوم ليلاً على دار الإمام علي الهادي عليه السلام حيث أنه سعي إلى المتوكل وقيل له بأن في منزل الإمام كتبا وسلاحا من شيعته من أهل قم، وأنه عازم على الوثوب بالدولة، فبعث إليه جماعة من الأتراك، فهجموا داره ليلا، فلم يجدوا فيها شيئا، ووجدوا الإمام في بيت مغلق عليه، وعليه مدرعة من صوف، وهو جالس على الرمل والحصى خاضعا خاشعا لله عزوجل، يتلو آيات من القرآن، فحملوا الإمام عليه السلام على حاله تلك إلى المتوكل، وقالوا له: لم نجد في بيته شيئاً ووجدناه يقرأ القرآن مستقبل القبلة، وكان المتوكل جالساً في مجلس الشرب، فدخل عليه ـ الإمام عليه السلام ـ والكأس في يد المتوكل، فلما رآه هابه وعظمه وأجلسه إلى جانبه، وأراد أن يناوله الكأس التي كانت في يده!! فقال الإمام عليه السلام: «والله ما يخامر لحمي ودمي قط» فقال ـ المتوكل ـ: أنشدني شعرا؟ فقال عليه السلام: «إني قليل الرواية للشعر». فقال: لا بد. فأنشده عليه السلام وهو جالس عنده:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم
غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا بعد عز من معاقلهم
وأسكنوا حفرا يا بئسما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد دفنهم

أين الأساور والتيجـان والحلـل

أين الـوجوه التي كانت منعمـة

من دونها تضرب الأستار والكلل

فأفصـح القبر عنهم حين ساءلهم

تلك الوجـــوه عليها الدود تقتتل

قد طال ما أكلوا دهرا وقد شربوا

وأصبحوا اليوم بعد الأكل قد أكلوا

فبكى المتوكل حتى بلت لحيته دموع عينيه وبكى الحاضرون، وضرب المتوكل بالكأس على الأرض، وتنغص عيشه في ذلك اليوم... ثم دفع إلى الإمام الهادي عليه السلام أربعة آلاف دينار، ورده إلى منزله مكرما..[1].

نعم هكذا تكون تصرفات الطغاة غير عقلائية وبذلك يهلكون أنفسهم ويهلكون الآخرين.

---

(١) راجع بحار الأنوار: ج٥٠ ص٢١١ ب٤ ضمن ح٢٥.

# عبرة لذوي العقول

قال الإمام الصادق عليه السلام للمفضل: «يا مفضل، لا يفلح من لايعقل، ولا يعقل من لا يعلم، وسوف ينجب من يفهم [1]، ويظفر من يحلم، والعلم جُنة، والصدق عز، والجهل ذل، والفهم مجد، والجود نجح، وحسن الخلق مجلبة للمودة، والعالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس» ـ إلى أن قال عليه السلام: ـ «ومن خاف العاقبة تثبت عن التوغل فيما لا يعلم، ومن هجم على أمر بغير علم جدع أنف نفسه، ومن لم يعلم لم يفهم، ومن لم يفهم لم يسلم، ومن لم يسلم لم يُكرم، ومن لم يُكرم يهضم، ومن يهضم كان ألوم، ومن كان كذلك كان أحرى أن يندم»[2].

نعم، إن تصرفات رضا خان غير العقلائية ونهايته المأساوية، وكذلك حال الطغاة في كل عصر ومصر، يجب أن تكون عبرة لكل ذي

---

(١) النجيب: الفاضل النفيس في نوعه، والمراد أنه من يكون ذا فهم فهو قريب من أن يصير عالماً بما يجب عليه وما ينبغي بعقله والتدبر فيه. وقيل: لأن الفهيم بنور فهمه يميز بين الحق والباطل، وبين الصفات الحسنة والقبيحة، فهو بمرور الأيام يكتسب المحاسن ويجتنب الرذائل، ويصير عالماً فاضلاً غالباً على النفس وقواها، حتى يصير نجيباً في الدنيا والأخرة..

(٢) الكافي: ج١ ص٢٦ كتاب العقل والجهل ح٢٩.

لب، وللحكام وأصحاب السلطة ـ خاصة ـ حيث عليهم أن يفكروا بما كانت نهاية رضا خان وغيره من الظلمة، من ذل في الدنيا، وجحيم في الآخرة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ۞ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۞ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[1].

وكذلك هي عبرة لعامة الناس، إذ يلزم عليهم أن ينتبهوا حتى لايمكّنوا السلاطين من رقابهم وأنفسهم وأموالهم، ولا ينخدعوا بأقوالهم؛ لأن أغلب الحكّام في بادئ الأمر يمني الناس ويشاركهم في أفراحهم وأحزانهم ويملئ عليهم الوعود، ولكن عندما يحكم سيطرته على الحكم، ينقض وعوده ويتحكم في مصيرهم بأهوائه، كما سجّل ذلك تاريخ الملوك والسلاطين.

## التصرف غير العقلائي في العراق

عندما جاء النظام الحالي ـ نظام البعث العفلقي ـ في العراق[2] كانت هناك أحزاب وحركات تنافسه على السلطة، ومنها الحزب الشيوعي، ولكن بما أن مبدأ الشيوعية كان مرفوضاً في المجتمع الإسلامي، فان

---

(١) سورة النازعات: ٣٧ـ ٣٩.

(٢) أي حال كتابة هذا الكتاب.

الشعب العراقي شعب مسلم فرفضه ورفض مبادءه[1]، فجاء حزب البعث بأسلوب جديد لكي يتقرب من أبناء الشعب، رافعاً شعار الدين الذي كان أمل الشعب، وشعار القومية وما إلى ذلك من الشعارات التي أراد بها تضليل الشعب. وفعلاً، انخدع بعض أفراد الشعب فساندوا هذا الحزب حتى تمكن قادته وأزلامه من خطف السلطة والحكم، وعندما استلم السلطة تحكم في مصير أبناء هذا الشعب أسوأ تحكم، فصادر حرياته وملأ السجون بالمعارضين له من كل أبناء العراق وقتل الملايين وشرد الملايين.

## مجيء الحكومة البعثية

---

(١) فقد وصلت الشيوعية إلى البلاد الإسلامية ومنها العراق، وتغلغلت الأفكار الشيوعية بين أوساط البسطاء من الجماهير في العراق عبر عملاء الاستعمار، الذين طبّلوا وزمروا كثيراً لتلك الأفكار المزيفة والشعارات الفارغة، فأخذ كثير من السذج والبسطاء من الناس يطالبون بتحقيق ما يسمى بالعدالة الاجتماعية وفق مبدأ الشيوعية، وعلى اثر ذلك شعر الإمام الراحل قدس سره ـ الذي كان عمره الشريف لم يتجاوز الثلاثين ـ والكثير من العلماء بمسئوليتهم تجاه تلك الأفكار الفاسدة والآراء المنحرفة، فتصدوا لها عبر وسائل عديدة، موضحين أن الإسلام وحده هو القادر على تحقيق العدالة الاجتماعية. وقد ذكر الإمام الراحل رحمه الله مساوئ ومخازي الشيوعية والشيوعيين وبعض الأساليب التي اتبعها في مواجهة الشيوعية، وذلك في كتابه «تلك الأيام» و «موسوعة الفقه، السياسة: ج١٠٦»، وكتاب «مباحثات مع الشيوعيين»، و«القوميات في خمسين سنة»، و«ماركس ينهزم»، وغيرها.

لم يكن مجيء حكومة البعثيين العفالقة إلى السلطة في العراق يتبع أي تصرف عقلائي، حيث لم تتبع أي موازين مشروعة ومقبولة ومتعارفة، كالانتخابات العقلائية الموجودة في العالم، لذا كانت هذه الحكومة مكروهة من الشعب، مرفوضة من قبل العقلاء، لأسباب كثيرة نوجزها بما يلي:

**أولاً:** أتت إلى السلطة دون رغبة الشعب، ودون علمه بواقعها الحقيقي، الكامن خلف الشعارات الزائفة، لأن البعثيين جاءوا تحت جنح الظلام، وخطفوا الحكم بالانقلاب العسكري المدعوم من قبل الغرب ومن خلال الدبابة والبندقية، ولم يكن مجيئهم عبر أساليب حرة كأن ينتخبها الشعب العراقي، فإن الأصل في انتخاب الحكومة ـ بالنسبة إلى عصر الغيبة ـ هو انتخاب الشعب[1].

**ثانياً:** سيطرة الأقلية على الأكثرية ظلما واستبداداً، حيث جاءت هذه الفئة القليلة إلى السلطة لتحكم الأكثرية دون أي حق قانوني أو شرعي أو عقلي لهم؛ لأن أقلية من الشعب العراقي هي التي استأثرت بالحكم وموارده المالية الضخمة وامتيازاته العالية، وهذا ينافي التشكيلة

---

(١) ذلك لأن الحكومة إنما كانت وتكون لتنظيم أمور الناس اجتماعيا واقتصادياً وسياسياً وغير ذلك من الأمور الحياتية. وعلى الشعب أن يختاروا ـ طبعاً بالاختيار العقلائي الناضج ـ من يدير شؤونهم، هذا في غير المعصوم عليه السلام الذي هو منصوب من قبل الله تعالى، كما هو واضح.

السكانية للشعب العراقي والقوانين العادلة، لأن جميع القوانين الإسلامية والقوانين الوضعية الديمقراطية الحديثة، تتفق على أنّ الحق القانوني يلزم أن تكون الحكومة لمن يمثل أكثرية الشعب! والعراق ينقسم من حيث التركيبة السكانية إلى أغلبية من «المسلمين الشيعة» إذ يمثلون حوالي (٨٥٪) من تركيبة هذا الشعب، الذين هم محرومون من أغلب حقوقهم المشروعة في الحكم منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة، كإستلام المناصب العليا في الدولة، بل هم محرومون حتى من نشر ثقافتهم وأفكارهم الدينية والعمل بشعائرهم العبادية، إذ تُملى عليهم عقائد غيرهم التي لا يؤمنون بها وبالفرض كما يلاحظ ذلك في الكتب المدرسية وفي الإعلام وغيرهما، وهم محرومون أيضاً من حرية إبداء الرأي، ومن ممارسة شعائرهم الدينية، وما إلى ذلك من الحقوق التي يجب أن تكون لهم.

ويتكون هذا الشعب ـ أيضاً ـ من أقلية من «المسلمين السنة» الذين يشكلون ما نسبته (١٢٪) من الشعب العراقي، ولكن نرى أن بيدهم كل المناصب الحساسة في الدولة، وأقلية من (المسيحيين) و(الصابئة) و(الإيزيديين) الذين يشكلون (٣٪) من الشعب.

لذا فإن الوضع العقلائي المفروض تحققه بالنسبة إلى الشعب العراقي هو أن يكون مستقبل الحكومة في العراق للأغلبية، أي للمسلمين الشيعة، ويضمن لباقي الأقليات حقوقهم كاملة أيضاً، بمعنى أن يكون

رئيس الدولة من الأغلبية وكذلك سائر المناصب الوزارية وغيرها، نعم هناك تمثيل للأقليات في البرلمان وما أشبه بما لا ينافي حق الأكثرية ويضمن حق الأقلية لهم، وهذا فقط هو الذي يضمن الأمن والاستقرار في العراق ويتماشى مع القانون والعقل والشرع [1].

---

(١) فقد ذكر الإمام الراحل (أعلى الله مقامه) في كتاب: «الشيعة والحكم في العراق» ـ ما ملخصه بشيء من التصرف ـ:

لقد كان العراق يعرف بأنه بلد شيعي، وكذلك اليوم هو بلد شيعي في الوقت الحاضر، وإليك التقسيم الآتي على حسب كثرة الشيعة في المحافظات، وهو كما يلي:

أولاً: مناطق العتبات المقدسة: كالنجف الأشرف. وكربلاء المقدسة. والكاظمية. فهي شيعية تماما، وفي سامراء نسبة الشيعة بشكل كبير وملحوظ، وقد كانت سامراء في عهد الميرزا الكبير الشيرازي ﵀ العاصمة العلمية للشيعة وفيها العديد من الحسينيات والحوزات والمؤسسات الشيعية.

ثانياً: المناطق الجنوبية، كالبصرة، والعمارة، والناصرية، فهذه المناطق كسابقاتها من مناطق العتبات المقدسة نسبة الشيعة فيها حوالي (٩٩٪).

ثالثاً: بغداد، والتي تعتبر عاصمة الدولة العراقية في الوقت الحاضر، والأغلبية فيها ـ أيضاً للشيعة، ويشكل الشيعة فيها حوالي (٨٠٪) تقريباً، وفي بعض المناطق من بغداد يشكل الشيعة (٩٩٪) من سكانها مثل: مدينة الكاظمية والثورة والكرخ والبياع وغيرها..

رابعاً: المحافظات الوسطى، مثل: الكوت والحلة والديوانية أيضاً يمثل الشيعة فيها (٩٩٪) من نسبة السكان تقريباً، أما محافظة ديالى فنسبة الشيعة فيها ٨٥٪. أما الرمادي وتكريت فالأغلبية فيها سنة، ويوجد الشيعة أيضاً في هاتين المحافظتين بأعداد واضحة.

←

## الحكومات غير الشرعية

الحكومات عادة تسير على خلاف العقلائية، والحكام عادة يسيرون على الهوى، ومن هنا ترى الظلم والجور والفساد والإفساد في كل مكان.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له: «..فصبرت، وفي العين قذًى وفي الحلق شجا، أرى تراثي نهباً، حتى مضى الأول لسبيله، فأدلى بها إلى فلانٍ بعده، ـ ثم تمثل بقول الأعشى: ـ

---

→

خامساً: المحافظات الشمالية، كركوك والموصل أربيل والسليمانية ودهوك، والأغلبية فيها للمذهب السني كما ينقل، ولكن التواجد الشيعي فيها بأعداد كبيرة.

وهذه الأرقام والنسب هي للدلالة، وكلها أرقام تقريبية، أما النسبة المتفق عليها والتي هي القدر المتيقن فهي: أن (٨٥٪) من سكان العراق من أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام و: (١٢٪) من المذاهب السنية الأربعة، و: (٣٪) من الطوائف والأديان الأخرى. ولكن ورغم هذه النسبة، وما يمثله الشيعة من أكثرية في سكان العراق، إلا أنهم خارج المناصب العليا في الدولة، وأصبحت المناصب ومصادر القوة بيد الأقلية، رغم أن جميع القوانين والأنظمة الإلهية، بل حتى الوضعية منها تعطي الحق لمن يمثل الأكثرية في إدارة شؤون البلاد.

وإن هذه الإحصاءات صادرة من جهات رسمية في الدولة، وقد صرح بها مدير عام دائرة الأحوال المدنية والنفوس أيام حكم عبد السلام عارف، كما هي مطابقة لإحصاء أشرف عليه السيد محمد الصدر رئيس وزراء العراق أواخر الأربعينات، للتفصيل ينظر: كتاب «تلك الأيام» للامام الراحل، وفيه إحصائيات تبين مدى الإجحاف الذي ألحق بالمسلمين من شيعة أهل البيت عليهم السلام في العصر الحديث.

شتان ما يومي على كورها ويوم حيان أخي جابـــــر[1]

فيا عجباً!! بينا هو يستقيلها في حياته، إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشد ما تشطرا ضرعيها، فصيرها في حوزةٍ خشناء، يغلظ كلمها ويخشن مسها، ويكثر العثار فيها والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحم، فمني الناس لعمر الله بخبطٍ وشماسٍ وتلونٍ واعتراضٍ، فصبرتُ على طول المدة وشدة المحنة، حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعةٍ، زعم أني أحدهم، فيا لله وللشورى، متى اعترض الريب فيَّ مع الأول منهم، حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر!! لكني أسففت إذ أسفوا، وطرت إذ طاروا، فصغا

---

(١) في رسائل الشريف المرتضى ج٢ ص ١٠٩ :

هذا البيت لأعشى قيس من جملة قصيدة، أولها :

علقم ما أنت إلى عامر الناقض الأوتار والواتر

فأما حيان أخو جابر ، فهو رجل من بني حنيفة ، فأراد ما أبعد ما بين يومي على كور المطية أدأب وأنصب في الهواجر والصنابر وبين يومي وادعا قارا منادما لحيان أخي في نعمة وخفض وأمن وخصب .

وروي : أن حيان هذا كان شريفا معظما عتب على الأعشى ، كيف نسبه إلى أخيه وعرفه به ؟! واعتذر الأعشى أن القافية ساقته إلى ذلك . والغرض في تمثيله (صلوات الله عليه) بهذا البيت ، تباعد ما بينه عليه السلام وبيت القوم ، لأنهم قلدوا بآرائهم ورجعوا بطلابهم ، وظفروا بما قصدوه واشتملوا على ما اعتمدوه . وهو عليه السلام في أثناء ذلك كله مجفو في حقه مكمد من نصيبه ، فالبعد كما رآه عنهم ، واختلاف شديد والاستشهاد بالبيت واقع في موقعه وارد في موضعه .

رجلٌ منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره، مع هنٍ وهنٍ، إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع، إلى أن انتكث عليه فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته... »[1].

وقال عليه السلام في خطبة أخرى وفيها يصف زمانه بالجور، ويقسِّم الناس فيه خمسة أصناف، ثم يزهد في الدنيا: «أيها الناس، إنا قد أصبحنا في دهرٍ عنودٍ وزمنٍ كنودٍ[2] يعد فيه المحسن مسيئاً، ويزداد الظالم فيه عتواً لا ننتفع بما علمنا، ولا نسأل عما جهلنا، ولا نتخوف قارعةً حتى تحل بنا.

والناس على أربعة أصنافٍ: منهم من لا يمنعه الفساد في الأرض إلاّ مهانة نفسه، وكلالة حده ونضيض وفره[3]، ومنهم المصلت لسيفه والمعلن بشره، والمجلب بخيله ورجله، قد أشرط نفسه وأوبق دينه لحطامٍ ينتهزه، أو مقنبٍ[4] يقوده أو منبرٍ يفرعه، ولبئس المتجر أن ترى الدنيا لنفسك ثمناً، ومما لك عند الله عوضاً. ومنهم من يطلب الدنيا بعمل

---

(١) نهج البلاغة، الخطب: ٣ من خطبة له عليه السلام وهي المعروفة بالشقشقية، وتشتمل على الشكوى من أمر الخلافة ثم ترجيح صبره عنها، ثم مبايعة الناس له..

(٢) الكنود الكفور، يقال: كند النعمة إذا كفرها فهو كنود، ومنه إمرأة كنود، و: «أصبحنا في زمن كنود» أي: لا خير فيه. مجمع البحرين: ج٣ ص١٣٨ مادة «كند».

(٣) قلة ماله، فالنضيض القليل، والوفر المال.

(٤) المقنب: طائفة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين.

الآخرة، ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا، قد طامن[١] من شخصه وقارب من خطوه، وشمر من ثوبه، وزخرف من نفسه للأمانة، واتخذ ستر الله ذريعةً إلى المعصية. ومنهم من أبعده عن طلب الملك ضئولة نفسه، وانقطاع سببه، فقصرته الحال على حاله، فتحلى باسم القناعة، وتزين بلباس أهل الزهادة، وليس من ذلك في مراحٍ ولا مغدًى.

وبقي رجالٌ، غض أبصارهم ذكر المرجع، وأراق دموعهم خوف المحشر، فهم بين شريدٍ نادٍ[٢]، وخائفٍ مقموعٍ، وساكتٍ مكعومٍ[٣]، وداعٍ مخلصٍ وثكلان موجعٍ، قد أخملتهم التقية وشملتهم الذلة، فهم في بحرٍ أجاجٍ، أفواههم ضامزة[٤]، وقلوبهم قرحة، قد وعظوا حتى ملوا، وقهروا حتى ذلوا، وقتلوا حتى قلوا.

فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر من حثالة القرظ[٥]، وقراضة الجلم[٦]. واتعظوا بمن كان قبلكم، قبل أن يتعظ بكم من بعدكم،

---

(١) طامن: خفض.

(٢) الناد: المنفرد الهارب من الجماعة.

(٣) المكعوم: من كعم البعير، شد فاه لئلا يأكل أو يعض.

(٤) ضامزة: ساكتة.

(٥) القرظ: ورق السلم، أو ثمر السنط يدبغ به.

(٦) الجلم: مقراض يجز به الصوف، وقراضته: ما يسقط منه عند القرض والجز.

وارفضوها ذميمةً، فإنها قد رفضت من كان أشغف بها منكم»[1].

نعم، هذه الدنيا في زمان أمير المؤمنين عليه السلام.

وذكر أن معاوية بن أبي سفيان قال يوماً لعمرو بن العاص ـ بما معناه ـ: أنا كنت أستحق الوصول إلى السلطة والحكم لذا صرت خليفة.

فقال له عمرو بن العاص: ليس الأمر هكذا؛ بل إن الصحيح إنك ما كنت تحصل على ذلك لولا أن الناس كانوا جهّالاً.. أي: لا يعقلون، وسأثبت لك ذلك بالدليل.

وفي يوم من الأيام قام عمرو بن العاص بعد الصلاة، والتفت إلى الناس قائلاً: لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إن اليقطين يحتاج إلى التذكية الشرعية ، فهي تذبح كما تذبح الشاة!! وبعد أن عادا إلى الصلاة وهما ـ معاوية وعمر ـ في الطريق شاهدا الناس واقفين صفوفاً على أبواب ودكاكين القصابين الذين كانوا قد شرعوا في قطع رأس اليقطين وكأنه يذبح كما تذبح الأغنام!!

إذاً، هذا العمل ـ وغيره ـ من الناس يدلّ دلالة واضحة على أن الأكثرية في زمن معاوية كانوا جهالاً وتصرفاتهم غير عقلائية، حتى وصلت بهم الحال إلى مقارنة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بمعاوية، وأي مقارنة ظالمة هذه التي تقارن بين أمير المؤمنين عليه السلام

---

(١) نهج البلاغة، الخطب: ٣٢ من خطبة له عليه السلام يصف زمانه بالجور، ويقسم الناس فيه خمسة أصناف، ثم يزهد في الدنيا..

الذي اتخذ الحكم لإقامة الحق وإبطال الباطل وخدمة الرعية، وبين معاوية الذي كان يأخذ البريء بذنب الآثم أو الجاني، وكان مسرفا في البذخ والمتعة له ولزبانيته وبطانته، فيجعله قدوة لمن يقتدون به في السرف والمغالاة[1].

---

(١) قال العلامة الأميني ﷺ في موسوعته الرائعة «الغدير في الكتاب والسنة» ج٢ ص١١٧ : قال الاسحاقي في «لطايف أخبار الدول» ص ٤١ : كتب معاوية إلى عمرو بن العاص: إنه قد تردد كتابي إليك بطلب خراج مصر، وأنت تمتنع وتدافع ولم تسيره، فسيره إلي قولا واحدا وطلبا جازما، والسلام. فكتب إليه عمرو بن العاص جوابا وهي القصيدة الجلجلية المشهورة التي أولها:

معاوية الفضل لا تنس لي ❖ وعن نهج الحق لا تعدل
نسيت احتيالي في جلق ❖ على أهلها يوم لبس الحلي؟
وقد أقبلوا زمرا يهرعون ❖ ويأتون كالبقر المهل

ومنها أيضا:

ولولاي كنت كمثل النساء ❖ تعاف الخروج من المنزل
نسيت محاورة الأشعري ❖ ونحن على دومة الجندل؟
وألعقته عسلا باردا ❖ وأمزجت ذلك بالحنظل
ألين فيطمع في جانبي ❖ وسهمي قد غاب في المفصل
وأخلعتها منه عن خدعة ❖ كخلع النعال من الأرجل
وألبستها فيك لما عجزت ❖ كلبس الخواتيم في الأنمل

ومنها أيضا:

ولم تك والله من أهلها ❖ ورب المقام ولم تكمل
وسيرت ذكرك في الخافقين ❖ كسير الجنوب مع الشمأل
نصرناك من جهلنا يا بن هند ❖ على البطل الأعظم الأفضل

←

وهذا هو معاوية يقر بعدم تعقل أبناء مملكته عندما بعث برسالة إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: أنا أقاتلك بمائة ألف رجل ما فيهم من يفرق بين الناقة والجمل.

فقد روي: أن رجلا من أهل الكوفة دخل على بعير له إلى دمشق في حال منصرفهم عن صفين، فتعلق به رجل من دمشق فقال: هذه ناقتي أخذت مني بصفين. فارتفع أمرهما إلى معاوية وأقام الدمشقي خمسين رجلا بينة يشهدون أنها ناقته!! فقضى معاوية على الكوفي وأمره بتسليم البعير إليه فقال الكوفي: أصلحك الله إنه جمل وليس بناقة؟! فقال

---

→

وكنت ولن ترها في المنام ❖ فزفت إليك ولا مهر لي
وحيث تركنا أعالي النفوس ❖ نزلنا إلى أسفل الأرجل
وكم قد سمعنا من المصطفى ❖ وصايا مخصصة في علي

ومنها أيضا:

وإن كان بينكما نسبة ❖ فأين الحسام من المنجل؟
وأين الثريا وأين الثرى؟ ❖ وأين معاوية من علي؟

فلما سمع معاوية هذه الأبيات لم يتعرض له بعد ذلك. انتهى.

وذكر الشيخ محمد الأزهري في «شرح مغني اللبيب ١ ص ٨٢» هذه الأبيات برمتها حرفيا نقلا عن تاريخ الاسحاقي غير أنه حذف قوله:

وحيث تركنا أعالي النفوس ❖ نزلنا إلى أسفل الأرجل

وذكر منها ثلاث عشر بيتا ابن شهر آشوب في «المناقب» ٣ ص ١٠٦. وأخذ منها السيد الجزايري في «الأنوار النعمانية» ص ٤٣ عشرين بيتا. وذكر برمتها الزنوزي في الروضة الثانية من رياض الجنة وقال: هذه القصيدة تسمى بالجلجلية لما في آخرها: وفي عنقي علق الجلجل..

معاوية: هذا حكم قد مضى، ودس إلى الكوفي بعد تفرقهم فأحضره وسأله عن ثمن بعيره، فدفع إليه ضعفه وبره وأحسن إليه، وقال له: أبلغ علياً (عليه السلام) أني أقابله بمائة ألف ما فيهم من يفرق بين الناقة والجمل.

ولقد بلغ من أمرهم في طاعتهم لمعاوية، أنه صلى بهم عند مسيرهم إلى صفين الجمعة في يوم الأربعاء، وأعاروه رؤسهم عند القتال وحملوه بها، وركنوا إلى قول عمرو بن العاص: إن علياً (عليه السلام) هو الذي قتل عمار بن ياسر حين أخرجه لنصرته[1]، ثم ارتقى بهم الأمر في طاعته إلى أن جعلوا لعن علي عليه السلام سنة ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير[2].

نعم، هذا هو حال أغلب الناس في زمن معاوية.

أما في زماننا هذا، فقد وصلت حالة عدم التعقل عند بعض الناس إلى شبه ما كان في الماضي وربما أسوأ، فترى بعض الناس يمجد ويرفع شخصاً جاهلاً مجرماً منحرفاً لا يدخر وسعا في انتهاك الحرمات وارتكاب

---

(١) وهذا كان توجيها للحديث النبوي الشريف الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وآله حيث روي عن الحسن أنه صلى الله عليه وآله لما أخذ في بناء المسجد قال: «.. اللهم لا خير إلا خير الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة» وجعل يتناول من عمار بن ياسر ويقول: «ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية». بحار الأنوار: ج٢٢ ص٣٥٤ ب١٠ ح٨٥.

(٢) الغدير: ج١٠ ص١٩٥ معاوية يصلي الجمعة يوم الأربعاء.

الظلامات، فينعتونه بنعوت ما أنزل الله بها من سلطان، ذلك هو صدام التكريتي[1] الذي وصلت القباحة بأحد الأشخاص المدعين للأدب بأن

---

(١) صدام التكريتي، ولد عام (١٩٣٩م) في العوجة قرية جنوب تكريت، طاغوت العراق في العصر الحديث وأتعس نموذج للطغاة، تلميذ الغرب المطيع والمنفذ الأول لمخططات الصهيونية وأعداء الإسلام، انتمى إلى حزب البعث واشترك مع بعض عناصر الحزب في محاولة فاشلة لاغتيال عبد الكريم قاسم عام (١٩٥٩م) هرب إلى سوريا ومنها إلى مصر. خلال فترة بقائه في القاهرة كان يكثر التردد على السفارة الأمريكية، فقد ذكر في صحيفة الشرق الأوسط ـ عن أحد كبار المسؤولين العرب ـ بأن الرئيس عبد الناصر قد أبلغه: أن صدام هو رجل أمريكا الأول في المنطقة في المستقبل، وأنه كان دائم التردد على السفارة الأمريكية بالقاهرة، وأن المخابرات المصرية قد صورت ورصدت كل تحركاته واتصالاته بالسفارة الأمريكية.

اشترك في انقلاب (١٧ تموز ١٩٦٨م)، وبعد نجاح الانقلاب كان صدام المنفذ الأول لتصفية مجموعة عبد الرزاق النايف المشتركة في الانقلاب، وذلك بعد ثلاثة عشر يوما من إنقلابهم، حيث تمت تصفيتهم. أصبح صدام نائباً لمجلس قيادة الثورة في عام (١٩٧٠م) ورئيساً للجمهورية حال غياب البكر عن البلاد. وفي عام (١٩٧٩م) أصبح رئيساً للجمهورية بعد إقصاء البكر عن الحكم.

هاجم إيران عام (١٩٨٠م) حيث ألغى اتفاقية الجزائر التي وقعها مع شاه إيران عام (١٩٧٥) فاندلعت حرب استمرت ثمان سنوات أحرقت الأخضر واليابس، فراح ضحيتها من الشعبين ما يزيد على مليوني إنسان، وبعدما توقفت الحرب عاد صدام واعترف باتفاقية الجزائر التي ألغاها!!

هاجم الكويت واحتلها عام (١٩٩٠م) فاندلعت حرب الخليج الثانية، فقامت قوات الحلفاء بقيادة أمريكا بمهاجمة الجيش العراقي بغية إخراجه من الكويت وتم ذلك، فلم تضع تلك الحرب أوزارها حتى كان العراق يعاني من دمار شامل في جميع مرافق ←

يقول ـ ممتدحا عبارة قالها هذا الطاغية ـ: هذه العبارة من نصوص الرئيس ذات صياغة متميزة، ستبقى أحاديثه وخطبه آيات مشرفة!!

وصدام نفسه لا يعقل ولا يصدق بأنه في يوم من الأيام يأتي مثل

---

→

الحياة وفي كل بناه التحتية، وضحايا لم تعرف أعدادها، ووضع العراق تحت حصار طويل الأمد بقرار من مجلس الأمن بحجة تدمير أسلحة الدمار الشامل التي طالما تبجح الطاغية صدام بها متوعدا أميركا وإسرائيل بحرقهم بها، والتي لم يستخدمها إلا مع شعبه في حلبجة وكربلاء وباقي مدن العراق إبان انتفاضة عام (١٩٩١م)، التي قمعها صدام بوحشية لا مثيل لها، حتى قدر عدد من قتل وأعدم واختفى بما يزيد على ٥٠٠ ألف ـ وقيل مليون عراقي شيعي.

وفي عام (٢٠٠٣) شنت الولايات المتحدة الاميركية وحلفاؤها هجوماً على العراق واحتلته في غضون (٢١) يوما وانهار نظام صدام وهرب زبانيته الى غير رجعة بعدما أذاقوا هذا الشعب الويلات، وهرب مجرمهم الكبير صدام وأعوانه من المعركة، وبعد عدة اشهر القي القبض على صدام وزبانيته تباعاً بعد فرارهم، وكان صدام قد القي القبض عليه مختبئا في جحرٍ تحت الارض كالجرذ بعد كل ذلك الجبروت الكبرياء والفرعنة التي اتسم بها طيلة حياته وفترة حكمه المشؤومة، وهذا حال الكثير من أركان نظامه الذين تم القاء القبض عليهم تباعاً، فاستراح الشعب منه ومن جرائمه، ونحن إذ نعد هذه المحاضرة كان صدام هدام العراق والإسلام قد جرت محاكمته وبعد مماطلات ومؤامرات لتهريبه من السجن حكمت عليه المحكمة بالاعدام شنقاً ونفذ فيه حكم الله والشعب المظلوم في (٩ ذي الحجة من عام ١٤٢٧هـ) فهلك طاغية العراق وحشر مع أمثاله من الطغاة ذليلاً حقيراً مذموماً مدحوراً، والله أحسن الحاكمين، والحمد لله قاصم الجبارين، وبذلك تنتهي فصول مرحلة رهيبة عاشها الشعب العراقي والمنطقة باسرها، على يد هذا الطاغية.

هؤلاء فينعتونه بهذه النعوت، لكنهم قالوا فيه ما قالوا وقدّسوا شخصه ومجدوا حزبه، ووصفوه بمحاسن ليست فيه، جهلاً منهم ورياءً!!

وهذه التصرفات غير العقلائية من الناس تكون سببا لاستمرارية الطغيان..

«اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة تعز بها الإسلام وأهله، وتذل بها النفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك، والقادة إلى سبيلك، وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة. اللهم ما عرفتنا من الحق فحملناه، وما قصرنا عنه فبلغناه، اللهم المم به شعثنا، واشعب به صدعنا، وارتق به فتقنا، وكثر به قلتنا، وأعزز به ذلتنا، وأغن به عائلنا، برحمتك يا أرحم الراحمين»[1].

(١) البلد الأمين: ص١٩٥ شهر رمضان، وداع كل ليلة منه.

# من هدي القرآن الحكيم

## دور العقل

قال الله تعالى اسمه: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1].

وقال عز وجل: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَ أُولُو الأَلْبَابِ﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لاَيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ﴾[3].

## مدح العقلاء بتصرفاتهم العقلائية

قال تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾[4].

وقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۞ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ﴾[5].

---

(١) سورة البقرة: ٢٤٢.

(٢) سورة البقرة: ٢٦٩.

(٣) سورة آل عمران: ١٩٠.

(٤) سورة الفرقان: ٦٧.

(٥) سورة الزمر: ١٧.

وقال عزوجل: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَ أُولُو الأَلْبَابِ﴾[1].

## ذم التصرفات غير العقلائية

قال تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[2].

وقال عز وجل: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾[4].

وقال جل وعلا: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾[5].

## مدح التفكر والاعتبار

قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لاَيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ ۞ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً

---

(١) سورة آل عمران: ٧.

(٢) سورة الحشر: ١٤.

(٣) سورة الملك: ١٠.

(٤) سورة البقرة: ١٧٠.

(٥) سورة الفرقان: ٤٤.

وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[1].

وقال عز وجل: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۞ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3].

وقال عز وجل: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾[4].

## ذم عدم التعقل

وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[5].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآَخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[6].

---

(١) سورة آل عمران: ١٩٠ـ ١٩١.

(٢) سورة الجاثية: ١٣.

(٣) سورة النحل: ١٠ـ ١١.

(٤) سورة البقرة: ٢٦٩.

(٥) سورة الأنفال: ٢٢.

(٦) سورة الأنعام: ٣٢.

# من هدي السنة المطهرة

## دور العقل والتعقل

قال رسول الله ﷺ في العقل: «أول ما خلق الله العقل»[١].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «العقل فضيلة الإنسان»[٢].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «العقل دليل المؤمن»[٣].

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام: «من لم يكن عقله أكمل ما فيه، كان هلاكه من أيسر ما فيه»[٤].

## مدح العقلاء بتصرفاتهم العقلائية

قال رسول الله ﷺ: «العاقل من أطاع الله، وإن كان ذميم المنظر حقير الخطر»[٥].

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «العاقل إذا سكت فكر، وإذا نطق

---

(١) بحار الأنوار: ج١ ص٩٧ ب٢ ح٨.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٥٠ ق١ ب١ ف٤ ح٣٢٦.

(٣) الكافي: ج١ ص٢٥ باب العقل ح٢٤.

(٤) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٢٠٦ ب٨ ح١٢٧٤٩.

(٥) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٢٠٧ ب٨ ح١٢٧٥٢.

ذكر، وإذا نظر اعتبر»[1].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «العاقل من كان ذلولاً عند إجابة الحق، منصفاً بقوله.. يترك دنياه، ولا يترك دينه»[2].

وقال الإمام الكاظم موسى بن جعفر عليه السلام: «إن العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب، وترك الدنيا من الفضل، وترك الذنوب من الفرض»[3].

## ذم التصرفات غير العقلائية

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في يصف بني أمية وهم من أظهر مصاديق غير العقلاء والمنحرفين:

«ليتأس صغيركم بكبيركم وليرأف كبيركم بصغيركم، ولا تكونوا كجفاة الجاهلية؛ لا في الدين يتفقهون ولا عن الله يعقلون، كقيض بيضٍ في أداحٍ، يكون كسرها وزراً، ويخرج حضانها شراً.. افترقوا بعد ألفتهم وتشتتوا عن أصلهم، فمنهم آخذٌ بغصنٍ، أينما مال مال معه، على أن الله تعالى سيجمعهم لشر يومٍ لبني أمية، كما تجتمع قزع الخريف، يؤلف الله بينهم، ثم يجمعهم ركاماً كركام السحاب، ثم يفتح لهم أبواباً يسيلون من مستشارهم، كسيل الجنتين، حيث لم تسلم عليه

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٥٤ ق١ ب١ ف٤ ح٤٦٢.

(٢) بحار الأنوار: ج١ ص١٣٠ ب٤ ح١٦.

(٣) الكافي: ج١ ص١٧ كتاب العقل ضمن ح١٢.

قارةٌ، ولم تثبت عليه أكمةٌ، ولم يرد سننه رص طودٍ، ولا حداب أرضٍ، يذعذعهم الله في بطون أوديته، ثم يسلكهم ينابيع في الأرض، يأخذ بهم من قومٍ حقوق قومٍ، ويمكن لقومٍ في ديار قومٍ، وأيم الله، ليذوبن ما في أيديهم بعد العلو والتمكين كما تذوب الألية على النار.

أيها الناس، لو لم تتخاذلوا عن نصر الحق، ولم تهنوا عن توهين الباطل، لم يطمع فيكم من ليس مثلكم، ولم يقو من قوي عليكم، لكنكم تهتم متاه بني إسرائيل. ولعمري، ليضعفن لكم التيه من بعدي أضعافاً بما خلفتم الحق وراء ظهوركم، وقطعتم الأدنى، ووصلتم الأبعد. واعلموا، أنكم إن اتبعتم الداعي لكم سلك بكم منهاج الرسول صلى الله عليه وآله وكفيتم مئونة الاعتساف ونبذتم الثقل الفادح عن الأعناق»[1].

وقال عليه السلام أيضاً: «فالصورة صورة إنسان، والقلب قلب حيوان، لايعرف باب الهدى فيتبعه، ولا باب العمى فيصد عنه»[2].

وقال عليه السلام أيضاً: «من عجب بفعله أصيب بعقله»[3].

وقال عليه السلام: «إن أبغض الخلائق إلى الله رجلان: رجل وكله الله إلى

---

(١) نهج البلاغة، الخطب: ١٦٦ من خطبة له عليه السلام.

(٢) نهج البلاغة، الخطب: ٨٧ من خطبة له عليه السلام وهي في بيان صفات المتقين وصفات الفساق والتنبيه الى مكان العترة الطيبة..

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٠٨ ق٣ ب٣ ف٦ ح٧٠٩٣.

نفسه، فهو جائر عن قصد السبيل، مشغوف بكلام بدعة ودعاء ضلالة، فهو فتنة لمن افتتن به، ضال عن هدي من كان قبله، مضل لمن اقتدى به في حياته، وبعد وفاته، حمال خطايا غيره، رهن بخطيئته.

ورجل قمش جهلاً موضع في جهال الأمة، عاد في أغباش الفتنة عم بما في عقد الهدنة قد سماه أشباه الناس: عالماً، وليس به بكر، فاستكثر من جمع ما قل منه خير مما كثر، حتى إذا ارتوى من ماء آجن، واكتثر من غير طائل، جلس بين الناس قاضياً ضامناً، لتخليص ما التبس على غيره، فإن نزلت به إحدى المبهمات هيأ لها حشواً رثا من رأيه، ثم قطع به، فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت، لا يدري أصاب أم أخطأ، فإن أصاب خاف أن يكون قد أخطأ، و إن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب، جاهل خباط جهالات، عاش ركاب عشوات، لم يعض على العلم بضرس قاطع، يذرو الروايات ذرو الريح الهشيم، لا ملي والله بإصدار ما ورد عليه، ولا أهل لما قرظ به، لا يحسب العلم في شيء مما أنكره، ولا يرى أن من وراء ما بلغ مذهباً لغيره، وإن أظلم عليه أمر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه، تصرخ من جور قضائه الدماء، وتعج منه المواريث، إلى الله أشكو من معشر يعيشون جهالا و يموتون ضلالا، ليس فيهم سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته، ولا سلعة أنفق بيعاً ولا أغلى ثمناً من الكتاب إذا حرف عن مواضعه، ولا عندهم أنكر

من المعروف ولا أعرف من المنكر»[1].

## مدح التعقل والتفكر

قال رسول الله ﷺ: «انما يدرك الخير كله بالعقل ..»[2].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «العقول أئمة الأفكار، والأفكار أئمة القلوب، والقلوب أئمة الحواس، والحواس أئمة الأعضاء»[3].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «دعامة الإنسان العقل، ومن العقل: الفطنة والفهم والحفظ والعلم..»[4].

وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «لكل شيء دليل، ودليل العاقل التفكر، ودليل التفكر الصمت»[5].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «العقل ينبوع الخير»[6].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «والعقل منه الفطنة والفهم والحفظ

---

(١) نهج البلاغة، الخطب: ١٧ من كلام له عليه السلام في صفة من يتصدى للحكم بين الأمة وليس لذلك بأهل..

(٢) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٢٠٩ ب٨ ح١٢٧٦٣.

(٣) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٢٠٧ ب٨ ح١٢٧٥١.

(٤) بحار الأنوار: ج١ ص٩٠ ب١ ح١٧.

(٥) تحف العقول: ص٣٨٦ ما روي عن الامام الكاظم الأمين عليه السلام..

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٥١ ق١ ب١ ف٤ ح٣٤٠.

والعلم، وبالعقل يكمل، وهو دليله ومبصره ومفتاح أمره ..»[1].

وقال عليه السلام أيضاً: «إن أول الأمور ومبدأها وقوتها وعمارتها التي لاينتفع شيء إلا به العقل الذي جعله الله زينة لخلقه ونوراً لهم ..»[2].

(١) الكافي: ج١ ص٢٥ كتاب العقل والجهل ح٢٣.

(٢) الكافي: ج١ ص٢٨ كتاب العقل والجهل ح٣٥.

# الفهرس


كلمة الناشر ..... ٣
وظيفة العقل ..... ٦
العقل في القرآن ..... ١٢
العقل في الأحاديث الشريفة ..... ١٥
بشارة لأهل العقل ..... ١٧
العقل رأس الفضائل ..... ٢٧
العقل والعقلاء ..... ٣٢
الملائكة والإنسان ..... ٣٦
من هم العقلاء؟ ..... ٣٧
قانون المعرفة وطرقها ..... ٤٠
من آثار عدم التعقل ..... ٤٣
الحيوانات ورسائلها ..... ٤٦
كيفية إنماء العقل ..... ٤٨
العقل وشبيهه ..... ٤٩
الإنسان وعمل الخير ..... ٥١
رضا خان والسلطة ..... ٥٢
إرادة الله فوق كل شيء ..... ٥٧
طغيان المتوكل ..... ٦٢
عبرة لذوي العقول ..... ٦٥
التصرف غير العقلائي في العراق ..... ٦٦

مجيء الحكومة البعثية ..... ٦٧
الحكومات غير الشرعية ..... ٧١
من هدي القرآن الحكيم ..... ٨٢
دور العقل ..... ٨٢
مدح العقلاء بتصرفاتهم العقلائية ..... ٨٢
ذم التصرفات غير العقلائية ..... ٨٣
مدح التفكر والاعتبار ..... ٨٣
ذم عدم التعقل ..... ٨٤
من هدي السنة المطهرة ..... ٨٥
دور العقل والتعقل ..... ٨٥
مدح العقلاء بتصرفاتهم العقلائية ..... ٨٥
ذم التصرفات غير العقلائية ..... ٨٦
مدح التعقل والتفكر ..... ٨٩
الفهرس ..... ٩١